



القرآن

والتعددية

محمد حسن قدردان كرامكي
ترجمة: رحيم حمداوي

دار الولاء
بيروت - لبنان

القرآن والتعددية



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwala.com - info@daralwala.com - daralwala@yahoo.com



المعهد العلمي العالمي للثقافة والفكر الإسلامي

طهران، شارع أحمد قصير - بلاك ٢ - رقم البناية (٢)

هاتف: ٩٨٢١٨٨٧٣٤٨٦٣ - ٩٨٢١٨٨٥٣١٢٤٩ - فاكس: ٩٨٢١٨٨٧٦٤٧٩٢

Email: iict.publication@gmail.com

القرآن والتعددية

تأليف: الدكتور محمد حسن قدرقان قراملكي

ترجمة: رحيم حمداوي

الإخراج الفني: المنتدى للصف والإخراج الطباعي

تصميم الغلاف: المصمم مجتبي عبيد

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

المعهد العلمي العالمي للثقافة والفكر الإسلامي

الطبعة الأولى: بيروت - لبنان ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

ISBN: 978-614-420-054-4

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

القرآن والتعددية

محمد حسن قدرقان قراملكي

ترجمة
رحيم حمداوي



دار الولاء

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مسرد المحتويات

٥ مسرد المحتويات
١٣ كلمة «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الاسلامي»
١٥ نبذة سريعة عن المعهد ومؤسسه
١٩ الديباجة
٢١ أول الكلام
٢٥ مقدمة
٢٥ تعريف التعددية
٢٧ تكامل الدين
٢٩ الدين واحد والشرائع متعددة
٣١ الفصل الأول: المبادئ القرآنية وحصر الصراط المستقيم بالإسلام
٣٣ ١. أخذ ميثاق النبيين والأمم الغابرة في اتباع الإسلام
٣٤ ٢. القرآن الكتاب المهيمن والناسخ
٣٦ النسخ بين التأيد والرفض
٤١ ٣. محمد ﷺ النبي العالمي
٤٢ ٤. القرآن كتاب عالمي
٤٣ ٥. التبشير بالإسلام في التوراة والإنجيل
٤٧ اتهام الأنبياء





- ٤٧ ٦. دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وتأييدهم
- ٤٨ سيرة النبي ﷺ
- ٤٩ المهدوية
- ٥٠ المغالطة وتحريف دعوة الأنبياء
- ٥١ ٧. الإسلام شرط لهداية أهل الكتاب
- ٥٢ ٨. رفض غير الإسلام
- ٥٤ ٩. تكفير أهل الكتاب
- ٥٥ ١٠. النهي عن الارتداد
- ٥٦ النهي عن منع وتأييب الارتداد المطلق
- ٥٦ الفئة الأولى
- ٥٧ الفئة الثانية
- ٥٨ ١١. تهديد أهل الكتاب بالعذاب
- ٥٩ ١٢. الوعد بظهور الإسلام على الأديان كافة
- ٦٢ ردّ على شبهة
- ٦٣ أ) مخالفة ظاهر الآية
- ٦٣ ب) عدم التناسب مع آخر الآية
- ٦٤ ج) الروايات المتواترة
- ٦٤ د) عدم تحديد معنى العلم
- ٦٤ هـ) الخلاف في استخدام لفظة «الإظهار» بمعنى العلم
- ٦٥ و) غلبة الإسلام وليس الأديان التوحيدية كافة
- ٦٥ ١٣. تحريف التوراة والإنجيل
- ٦٧ التشكيك بعدم دلالة القرآن على تحريف الكتاب المقدس
- ٧١ ختم الكلام





الفصل الثاني: القرآن والمداراة المذهبية والاجتماعية ٧٣

١. لا إكراه في اعتناق الإسلام ٧٥

٢. مشروع الحوار المنطقي مع الأديان الأخرى ٧٨

الدعوة إلى القواسم المشتركة ٧٩

٣. رفض استغلال الناس واستعبادهم ٨٠

٤. الدعوة إلى المداراة ومعاملة الكفار بالحسنى ٨١

سيرة النبي ﷺ ٨٥

١. مساواة الناس ٨٥

٢. الدفاع عن الأقليات الدينية ٨٥

٣. أذية الذمي كأذية النبي ٨٦

٤. احترام جنازة اليهودي ٨٦

٥. الميثاق الأول حول حرية العقيدة ٨٦

سيرة الإمام علي عليه السلام ومواقفه ٨٨

١. احترام كافة الناس وإظهار المحبة لهم ٨٨

٢. احترام الأقليات وقوانينهم ٨٩

٣. الاهتمام بالأقليات ٨٩

٤. تخصيص رواتب لفقراء أهل الكتاب ٩٠

٥. توديع اليهودي ٩٠

٦. التسامح والمداراة في مواجهة الخوارج ٩٠

عدم إقامة الصلاة في الكنيسة! ٩١

الزعم بأن التسامح ناتج من ضعف الإسلام ٩٢

اعترافات المفكرين الغربيين ٩٢

الفصل الثالث: التوهم بدلالة القرآن على التعددية ٩٥



- ٩٧ ١. الاهتمام بالفحوى وأسباب النزول وبداية الآيات ونهايتها.
- ٩٨ ٢. الاهتمام بكل القرآن
- ٩٨ ٣. الاهتمام بشارحي القرآن الحقيقيين
- ٩٩ الدليل الأول: التسليم المطلق أمام الله
- ١٠١ نقد ورأي
- ١٠١ ١. رؤيتهم الحصرية في تفسير الإسلام
- ١٠١ (أ) المعنى التكويني
- ١٠٢ (ب) التسليم والخضوع أمام الله
- ١٠٢ (ج) دين الإسلام الخاص
- ١٠٣ ٢. إن إسلام الأمم السالفة يوافق وحدة الصراط المستقيم
- ١٠٣ ٣. كلمة «الإسلام» المعرفة بـ«أل» التعريف
- ١٠٤ ٤. عدم أخذ الآيات السابقة بنظر الاعتبار
- ١٠٤ ٥. عدم أخذ الآيات اللاحقة بنظر الاعتبار
- ١٠٦ ٦. تحريف رأي المفسرين
- ١٠٧ الشيخ الطوسي (م ٤٦٠هـ)
- ١٠٧ العلامة الزمخشري
- ١٠٨ الشيخ الطبرسي (م ٥٤٨ هـ)
- ١٠٨ البيضاوي (م ٧٩١ هـ)
- ١٠٩ رأي محمد جمال الدين القاسمي (م ١٣٣٢ هـ)
- ١٠٩ محمد جواد مغنية (١٩٧٩م)
- ١٠٩ العلامة الطباطبائي
- ١١١ الدليل الثاني: تعدد الأديان؛ اقتضاء إرادة الله
- ١١٣ نقد ورأي

- تفسير الآية الـ ٤٨ من سورة المائدة ١١٣
١. التفاسير المختلفة والمعتبرة ١١٣
- (أ) إرادة الله ١١٣
- (ب) تعدد الشرائع ونسخها ١١٤
- (ج) نفي البعثة ١١٥
٢. تجاهل الآيات السابقة ١١٦
٣. اختلاف الأديان نتيجة الأهواء النفسية ١١٧
- تفسير الآية الـ ٨ من سورة الشورى ١١٩
- (أ) إرادة القدرة ١٢٠
- (ب) ذكر المعاد ١٢٠
- تفسير الآية الـ ١١٨ من سورة هود ١٢١
- (أ) إرادة القدرة ١٢١
- (ب) ذكر المعاد ١٢٢
- تفسير الآية الـ ٤٨ من سورة البقرة ١٢٢
- (أ) ذكر القبلة ١٢٢
- (ب) ذكر اختلاف الشريعة ١٢٤
- (ج) الإشارة إلى اختلاف الغاية ١٢٥
- تفسير سبب التسابق في الخيرات ١٢٦
- الدليل الثالث: استخدام صراط مستقيم بصيغة النكرة ١٢٧
- نقد ورأي ١٢٩
- (أ) عدم الاكتراث لمعنى عبارة الصراط المستقيم ١٢٩
- (ب) الإجابة النقضية ١٣١
- (ج) الخلط بين تنوين التنكير والتفخيم ١٣٢



- ١٣٢ (د) الخلط بين الإسلام السابق والاسلام المحمدي ﷺ
- ١٣٢ (هـ) وجود الدلائل
- ١٣٣ الدليل الرابع: التوحيد والعمل الصالح، معيار الهداية
- ١٣٦ تفسير الآية الـ ٦٢ من سورة البقرة
- ١٣٦ (أ) الاهتمام بأسباب نزول الآية (تأييد الإيمان قبل الإسلام)
- ١٣٧ (ب) ازالة التوهم عن كون العناوين معياراً
- ١٣٧ (ج) تفسير معنى الإيمان بالله
- ١٣٨ (د) تفسير معنى العمل الصالح
- ١٣٩ (هـ) التفسير بالآيات الأخرى
- ١٤٠ تفسير الآية ١١٢ من سورة البقرة
- ١٤٠ (أ) إزالة الوهم حول كون العناوين معياراً
- ١٤٠ (ب) تفسير الإسلام
- ١٤١ (ج) أخذ الآيات السابقة بعين الاعتبار
- ١٤١ تفسير الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران
- ١٤١ (أ) الدعوة إلى الحد الأدنى
- ١٤٢ (ب) الأخذ بعين الاعتبار الآيات السابقة واللاحقة
- ١٤٣ (ج) الخلط بين التعددية الدينية والاجتماعية
- ١٤٣ تفسير الآية الـ ١٣ من سورة الحجرات
- ١٤٣ (أ) ذكر قاعدة اخلاقية
- ١٤٤ (ب) تفسير التقوى
- ١٤٤ تفسير الآية الـ ١٧٧ من سورة البقرة
- ١٤٥ الدليل الخامس: امتداح أهل الكتاب ووعدهم بالثواب وحجب العذاب
- ١٤٧ تحليل وتقييم



- ١٤٧ (أ) المؤمنون من أهل الكتاب هم الذين انتظروا ظهور الإسلام واعتنقوه
- ١٥٠ (ب) الاخبار عن الماضي
- ١٥١ (ج) أهل الكتاب والمسلمون
- ١٥١ (د) أهل الكتاب الصالحون وغير المعاندين
- ١٥٣ الدليل السادس: كثرة الشهود في القيامة
- ١٥٤ نقد ورأي
- ١٥٤ (أ) الشهادة لرسالة الأنبياء
- ١٥٦ (ب) تقييد عبارة (كل أمة)
- ١٥٨ الدليل السابع: جزية أهل الكتاب
- ١٥٩ تحليل ودراسة
- ١٥٩ (أ) إعلان الحرب على أهل الكتاب
- ١٥٩ (ب) تكذيب إيمان أهل الكتاب
- ١٥٩ (ج) الخروج عن الدين الحق
- ١٦٠ (د) إنّ الجزية هدف لترك القتال
- ١٦٠ (هـ) التركيز على معنى صاغرون
- ١٦١ الدليل الثامن: حلّيّة أكل الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم
- ١٦٢ تحليل وتقييم
- ١٦٥ المصادر
- ١٧٣ استعراض عدد من الكتب قيد الترجمة والنشر

1

2

3

4

5

6



كلمة «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي»

أبصر «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» النور في عام ١٩٩٤م، وانطلقت نشاطاته في إطار المشروع الفكري التجديدي. فالمشاريع المعرفية للمفكرين في العالم الإسلامي تنقسم إلى ثلاث فئات، هي: التقليدية، التجديدية، الحدائثية الدينية. بالنسبة للفئة الأولى، فهي تتعاطى مع الحدائث باعتبار الأفكار الجديدة بديلة للأصالة والسنة. وعليه، فإن أنصارها يرفضون أيّ تعديل في تلك المفاهيم، مهما كانت الظروف. لذلك فإن هؤلاء، في نظر أنفسهم، يرفضون الحدائث والتجدد دفاعاً عن السنة، وبالتالي يبدو جلياً أنّ أيّ تعديل أو تحديث أو قراءة معاصرة للنصوص الدينية تستجيب لمتطلبات المجتمع الإنساني في النموذج الفكري لهذه الفئة، هو أمرٌ بعيد المنال.

من جهة أخرى، هناك مشروع التجديد الديني الذي يقف في مواجهة التيار التقليدي الديني، آنف الذكر، ويتعامل مع مفاهيم الحدائث والأفكار العصرية بانفتاح كبير، فيقايض مبدأ الأصالة بالتجدد، ويعمل على تحديث السنة وتطويعها بما يتناسب مع المفاهيم المعاصرة.

وفي الوقت الذي يبدو فيه أنّ مآل النموذج المعرفي للتقليديين هو الجمود الفكري، والأصولية، والتماهي، والرجعية، فإنّ نتيجة النموذج التجديدي هي إقصاء السنة عن الساحة نهائياً، وفتح الباب على مصراعيه أمام المذاهب الإنسانية والعلمانية لتفرض سطوتها على جميع مرافق المجتمع.



في هذه الأثناء، يبرز أمامنا نموذج فكري ثالث هو المشروع الحدائني، لا سيما الشقّ المجدّد فيه، إذ إنّه في الوقت الذي يبادل الأصالة بالسنة، إلا أنه يسعى من خلال السماح لمفاهيم الحدائنة بالعبور عبر ممرّ السنة، إلى تعديل وتطوير تلك المفاهيم، فيقوم بتحويل مصطلحات من قبيل الحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية؛ إلى التحرّر، والمساواة، والحاكمة الدينية.

لقد اختار النموذج الفكري التجديدي العقل والرؤية الكونية للإسلام، كمنظار ينظر من خلاله إلى مفاهيم الواقعية، وبلوغ الحقيقة، وتفسير القيم المعنوية، (المشروع واللامشروع)، ومن هذه الزاوية فهو ينطلق باتجاه التنظير، والإنتاج الفكري في مجالات الأحكام والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

تأسيساً على ما تقدّم، انبرى «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» إلى إتحاف سوق النشر العالمية بإصداراته التي تجاوزت الـ(٨٠٠ مصنف). تلك المصنّفات التي ارتأت إدارة المعهد أن تنظر بعينين ناقتين: عين تنتقد المذهب العلماني، والمذهب الإنساني بوصفهما النموذجين اللذين يمثلان الرؤية الفلسفية السائدة في الغرب؛ وأخرى تنتقد وترفض النموذج الفكري المطروح من قبل التيار الفكري التقليدي الإسلامي، لتطرح بديلاً عنهما هو: العقلانية الإسلامية، والمقولات المنطقية المشتركة، تحت عنوان: النموذج الحدائني المؤطر بالسنة.

مع الشكر والتقدير

علي أكبر رشاد

مؤسس «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي»



نبذة سريعة عن «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» ومؤسسه

بدأ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد دراسته الدينية في الحوزة العلمية بطهران في عام ١٩٦٧م، وبعد أن أنهى مرحلة المقدمات، انتقل إلى الحوزة العلمية بمدينة قم في عام ١٩٧٠م، فدرس مرحلة السطوح الأولى والثانية والثالثة والرابعة في الفقه وأصول الفقه على مشايخ كبار من أمثال: حسن طهراني، صلواتي أراكي، اشتهاودي، حرم بناهي قمي، اعتماداي تبريزي، بني فضل تبريزي، يوسف صانعي، السيد علي محقق داماد، سبحاني تبريزي. كما درس الفلسفة الإسلامية في قم وطهران عند الأساتذة: أحمد بهشتي، محمد محمدي كيلاني، الشيخ الشهيد مرتضى مطهري. أضيف إلى ذلك، حضور المترجم له ولعقدين من الزمن دروس الفقه، وعلم الأصول لمرحلة الخارج في حوزتي طهران، وقم، عند المشايخ والآيات العظام: حسين وحيد خراساني، علي مشكيني، حسين علي منتظري، السيد علي خامنئي، مجتبي طهراني.

على مدى العقود الثلاثة الماضية، عكف الشيخ الأستاذ علي أكبر رشاد على تدريس موضوعات الفقه والأصول والفلسفة والعرفان في الحوزة العلمية في طهران، فضلاً عن فلسفة الدين، والعلوم القرآنية، وميثودولوجيا



فهم الدين في الجامعات. كما أنّ سماحته يواصل، ومنذ عشر سنوات، تدريس مرحلة السطوح العالية (مرحلة الخارج في الفقه والأصول).

حالياً يشغل سماحة الشيخ رشاد منصب عضوية المجلس الأعلى للثورة الثقافية، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومجلس رسم السياسات لحوار الأديان. كما إنه مؤسس ورئيس المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي، وهو أكبر صرح دراساتي، غير حكومي، يعنى بشؤون الدين والعلم في إيران. للمعهد العالي العالي أربعة معاهد تضمّ في مجموعها ٢٠ قسمًا تتوزع على فروع: الفلسفة، الأبتمولوجيا، العرفان، الدراسات القرآنية، علم الكلام، الدراسات الدينية، منطق فهم الدين، الأخلاق، الفقه والتشريع، السياسة، الاقتصاد، الإدارة الإسلامية، الدراسات الغربية (الاستغراب)، التاريخ والحضارة، الدراسات الثقافية، الثورة الإسلامية، آداب الفكر... إلخ.

جاء تأسيس المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي في عام ١٩٩٤م، في ظلّ الحاجة الملحة إلى البحث في الشؤون الفكرية المعاصرة، والتركيز على الاتجاهات النقدية والحدائية في المستويات العليا، وقد أثمرت الجهود العلمية للمعاهد التابعة له عن صدور ما يزيد عن ٨٠٠ عنواناً من المصنّفات المدوّنة، وهناك حالياً ثمانني دوريات علمية تصدر عن المعهد العالي هي «قبسات» (مجلة متخصصة في فلسفة الدين/ ذات رتبة علمية ودراساتية)، «ذهن» (متخصصة في علم المعرفة)، «اقتصاد إسلامي» (ذات رتبة علمية ومحكمة)، «حقوق إسلامي» (ذات رتبة علمية ودراساتية)، «كتاب نقد» (دورية فكرية نقدية)، شهرية «زمانه» (متخصصة في التاريخ وعلم الاجتماع السياسي لإيران المعاصرة)، فصلية «حكمت» العالمية تصدر باللغة الإنجليزية (متخصصة في الفلسفة واللاهوت)، وفصلية «الحكمة» العالمية باللغة العربية (متخصصة في النظم الاجتماعية في الإسلام).

كما صدرت عن المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي في العقد الأخير أربع موسوعات بإشراف سماحة الشيخ رشاد، عناوينها:

١ - موسوعة الإمام علي عليه السلام (صدرت في ١٣ جزءاً).

٢ - موسوعة القرآن (دوّن منها ٣٥ جزءاً حتى الآن).

٣ - موسوعة السيرة النبوية (في ١٥ جزءاً، وهي قيد التدوين).

٤ - موسوعة الثقافة الفاطمية (صدرت في ٦ أجزاء).

بالإضافة إلى ما تقدّم ذكره، فإنّ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد هو مؤسس ورئيس الحوزة العلمية للإمام الرضا عليه السلام، وهو مجمع علمي يشمل جميع المستويات العلمية الحوزوية.

علاوة على المعاهد الأربعة (النظم الإسلامية، الثقافة والدراسات الاجتماعية، تدوين الموسوعات، الحكمة والدراسات الدينية)، هنالك الأكاديمية العالمية والتي هم في طور التأسيس، والهدف منها توسيع شبكة الارتباطات العلمية، وقد طرحت هذه الأكاديمية مشروعاً ضخماً للترجمة، يشمل ترجمة ٢٠٠ مصدر إلى مختلف لغات العالم، ناهيك عن مشاريع أخرى عالمية في مجال التنظير، أو نقد آراء مشاهير المفكرين في العالم. وتنضوي تحت لواء المعهد العالي العديد من المؤسسات والمراكز العلمية التي تقوم بإصدار العديد من النتاجات التي تهتمّ شريحة الشباب وطلبة الجامعات.

مع الشكر الجزيل

الدائرة العامة للترجمة والنشر الدولي



الديباجة

منطلق واحد أدى إلى ظهور التعددية الدينية، كما كان الحال في العلمانية، وهو النقص المعرفي للديانة المسيحية.

في الواقع إنّ الجذور الحقيقية للكثير من المدارس الفكرية الغربية التي تناهض الدين وتنبذه ظهرت نتيجة الضعف البنيوي للديانة المسيحية المحرفة. ديانة تكونت حول محور الثنوية.

إنّ التركيز على الظروف الاجتماعية التي خلقت مناخ نبذ الدين يضعنا في الصورة الصحيحة لفهم الأسباب الرئيسية التي أدّت إلى نشأة التعددية.

خلقت ممارسات الكنيسة تلك الظروف إذ كانت تمارس نوعاً من الدكتاتورية والاضطهاد الديني والمعرفي. إن عدم قدرة هذا الدين المحرّف على الإجابة عن أطروحات الإسلام المنطقية عند الحوار بين كلا الدينين قد تشكل سبباً في ظهور التعددية (البلورالية). من المؤسف جداً أنّ انطباع الشعوب الغربية الخاطئ عن الدين وضعف أدائه الاجتماعي أدّى إلى تعميم النقص الفكري للمسيحية المحرفة إلى كافة الأديان الإلهية.

في الحقيقة إنّ دعاة التعددية يرون أنّ تعدد الأديان ناتج من تعدد الفهم والمعرفة البشرية؛ لأنهم يعتقدون أنّ الأنبياء لا يتفقون الرأي في قضية ألوهية الرب فظهر مختلف الأديان في الساحة. فالقضية هي اختلاف الرؤية، رؤية تقف وراء ظاهرة القراءات المتعددة للنصوص الدينية مما دفع أنصار التعددية إلى تفسير تلك النصوص خدمة لأهدافهم ونواياهم.



أما الفكر الإسلامي فلم يعترف بكافة الأديان الإلهية فحسب، بل يعتبر أنّ الإيمان بالأديان الإلهية شرط لاعتناق الإسلام، كما لا يختلف المفكرون المسلمون في ما بينهم بأنّ الإسلام يشتمل على كافة التعاليم الإلهية فهو قدّمها بصورة منطقية راسخة وبعيدة عن الخرافات.

لقد وضع منتدى الشباب للفكر الاهتمام بالقضايا الفكرية للشباب على رأس هواجسه، فهو يرى أنه ومن أجل التطرق إلى هذا الموضوع المهمّ وتبيين دوره البارز، لا بدّ من وضع القراءة التعددية لآيات القرآن الكريم وتفسيرها الخاطئة على محك النقد، في البحث الذي بين أيديكم، والذي دوّنه الباحث الفاضل السيد قراملكي داعياً، ومن خلال قراءتكم هذا البحث، إلى أن ترشدونا بأرائكم القيمة.

منتدى الشباب للفكر



أول الكلام

يروج المثقفون المسيحيون فكرة التعددية الدينية التي تعني تأييد أحقية كافة الأديان، في العصر الراهن. لقد شهدت العقود المنصرمة، سيّما السنوات الماضية، مثقفين مسلمين انخرطوا في هذا المجال وأخذوا ينشرون مبادئ التعددية.

للتعددية مبادئ وقراءات عديدة قد يصبح الدين نفسه أحد هذه المبادئ، كما يدعي أنصار التعددية، بمعنى أنّ مختلف الأديان، ومن خلال دعوتها الناس، لا تتعرض لأحقية الأديان الأخرى، بل إنّ جميعها تنهل من نبع سماوي واحد.

إنّ تسويغ التعددية بالاستناد إلى الدين، هو أحد الحلول المتوفرة لنشر هذه النظرية، حيث لا يواجه المتدينون صعوبة في فهمها. كما يتمسك دعاة التعددية المسلمون بتلك النظرية في محاولتهم الرامية لإثبات أنّ عقائدهم لا تعارض الدين الاسلامي، وقاموا بتفسير وتأويل بعض الآيات القرآنية لتسويغ فكرتهم. ذلك أنهم تجاهلوا، عن عمد أو غير عمد، الأصول والمبادئ الرئيسية لعلم التفسير والهرمنوطيقيا، وأخذوا يستندون بآية من القرآن بدون الآيات الأخرى ثم يفسّرون ظاهر الآية خدمة لمزاعمهم. وقد عملوا على نشر تفاسيرهم تلك مستخدمين جميع المجالات، خاصة السلطة الرابعة، ومخاطبين مختلف شرائح المجتمع، سيما الشاب الناشط والباحثة.



لا يمكن نكران التأثير الذي يتركه هذا التوجه في نفوس المخاطبين ممن ليس لديهم الوقت للدراسة والتوغل في البحث والتأمل والتمحيص في لب الآيات وجوهرها. ولننتبه إلى أنّ القرآن هو كتاب سماوي ذو أوجه متعددة (المحكّمات والمتشابهات) أنزل طوال ٢٣ عاماً على النبي ﷺ، خذ مثلاً قضية تحريم الخمر التي تمت خلال ٤ مراحل^(١). بعبارة أخرى إنّ عملية فهم أهداف ونوايا هذا الكتاب تتم عبر أسلوب ومنهج خاص يتطلب التأمل والتفكير بالإضافة إلى التأني. والموضوع الذي يكتسب أهمية قصوى هو دراسة علاقة الآية بالآيات الأخرى عند الإدلاء بالرؤى وإصدار الأحكام حولها.

لكن ما نشاهده على الساحة يعكس خلاف هذا، فقد لمستُ تأثير هذا التوجه شخصياً، عند مناقشتي عدداً من العلماء والباحثين، وبإمكانك قراءة المزيد من هذا المقتضب.

على طرف آخر، وبما أنه لم يصدر كتاب مستقل وشامل، في مجال نقد التعددية ودراستها من منظور الدين (التمثل في القرآن والروايات) حيث يشرح بالتفاصيل موقف القرآن والروايات من التعددية، وبالتالي يقدم أجوبة كافية وشفافية حول الآيات القرآنية التي يتشبه بها أنصار التعددية كدليل على قولهم، كل ذلك جعلني أعيد النظر مرة أخرى وأقوم بإكمال كتاباتي وكانت النتيجة، هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

من نافلة القول أنني اتخذت أسلوب التحليل في التطرق إلى موقف الإسلام في حصره الصراط المستقيم بالإسلام، وإبطال التعددية من منظور بعض الآيات القرآنية، وإلى حد ما، بعض الروايات باعتبارها الشارح والمفسر للآيات. منهجي هو أسلوب النظر من داخل إطار الدين، أما مَنْ

(١) للمزيد راجع: الفصل الثالث من هذا الكتاب.

يريد البحث الشامل والجامع حول تحليل نظرية التعددية من مختلف الجوانب خارج إطار الدين، مثل دراسة ونقد الأسس التي يستند إليها التعدديون، فينبغي له البحث عنها في كتب أخرى^(١).



(١) راجع: قدران ملكي، محمد حسن: كندكاوي در سويه هاي پلوراليزمؤ كانون انديشه جوان؛ قدردان ملكي، محمد حسن: حكومت ديني از منظر شهيد مطهري، فصل يازدهم، موسسه فرهنگي دانش وانديشه معاصر.

17

11

12

13

14

15

16

17



مقدمة

تعريف التعددية

تعني التعددية (Pluralism) لغوياً الكثرة والتنوع. وقد أطلقت لأول مرة في الكنيسة على من كانوا يشغلون مناصب عديدة. أول من أدخل مصطلح البلورالية في حقل الفلسفة هو لوتسه في كتابه (ما بعد الطبيعة) وذلك عام ١٨٤١^(١). بين هذا وذاك وفي حقل فلسفة الدين تعني التعددية تأييد أحقية الأديان كافة. قدّم أنصار التعددية بغية إيضاح نظريتهم قراءات وأساساً عديدة، حيث يتطلب الخوض في جوانبها فرصة أخرى^(٢). أشير في ما يلي إلى بعض تلك القراءات:

١. تعددية حقيقة الأديان: يذهب أتباع هذه الرؤية إلى أنّ مختلف الأديان تنهل من الحقيقة وتنتهي بالإنسان إلى النجاة والفلاح، بيد أنهم يختلفون على الإجابة عن سؤال: إلى جانب أي من الأديان يقف الحق ولأيّها يدير ظهره؟ إنّ جُلَّ اهتمامهم منصب على التعايش السلمي. هذه القراءة من التعددية ليست إلا صدى لنظرية التساهل والمداراة^(٣)، يمكن استنتاجها من تعامل الإسلام مع أهل الكتاب.

(١) راجع: نامه فرهنك، عدد ٢٤، عام ١٣٧٥، الصفحة الرابعة.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) Tolerance



٢. كثرة الأديان الصائبة: ترى هذه الرؤية أنّ كافة الأديان وبالتوازي تنتهج الصواب والحق ولا فضل لدين على آخر.

٣. تعدد الأديان غير الصائبة: تدعي هذه القراءة بأنّ كافة الأديان لها نصيب من الحقيقة، وعليه لا تتجلى الحقيقة كلها في أي منها.

٤. القول بأفضلية دين بعينه: يرى أنصار هذه القراءة بأنّ الحقّ يتبلور في كافة الأديان، وفي الوقت ذاته يعتبرون أنّ ديناً واحداً من الأديان يؤمنون به ديناً كاملاً ويحظى بامتيازات خاصة.

٥. تعددية المدارس الفكرية: هذه القراءة هي القراءة التعددية الأكثر تطرفاً فإنها لا تكتفي بالادعاء بأنّ مختلف الأديان تنهل من الحقيقة، بل تتجاوز هذا الحد وترى أنّ للمدارس الفكرية الإلحادية والمادية كالشيوعية أحقية.

٦. الشمولية^(١): يرفض دعاة هذه القراءة الاعتراف بوجود أي شكل من الحقيقة في الأديان الأخرى، بل يعتقدون بأنّ أتباع الأديان الأخرى تشملهم قاعدة اللطف والعناية الإلهية إن عملوا بدينهم ويطلق عليهم كارل راهنر المسيحيين المجهولين، ويقصد أتباع الأديان الأخرى المخلصين^(٢).

سنناقش هذه القراءة في فصل آخر ومدى مطابقتها المبادئ القرآنية والروايات. أما الآن فنسنعُ تعريف التعددية الشهير في ميزان البحث، وهو ما يهمننا في هذا الكتاب. يقول هذا التعريف إنّ الأديان كافة تأخذ بيد الإنسان إلى بر الهداية وتهديه إلى الصراط المستقيم، ولا ينحصر الصراط المستقيم بدين خاص كالمسيحية أو الإسلام. كل الأديان وبشكل مستقل

(١) Inclusivism

(٢) راجع: خرمشاهي، بهاء الدين: دين يزوهي، ص ٣٠٣، مقالة بعنوان تعدد الأديان لجان هيك.

وفي امتداد بعضها البعض تنتهج الحق وتسير على درب السعادة وعليه يسير أتباعها على درب السعادة والصرط المستقيم.

سنوضح في هذا الكتاب ومن منظور القرآن والسنة، النقطة التالية: لا يصح اعتبار الأديان الأخرى على امتداد واحد مع الدين الإسلامي المقدس، والقول بأن جميعها تنتهج الحق. صحيح أن الأديان، سيما المسيحية واليهودية، تحمل قسطاً من الحقيقة في طياتها، لكونها سماوية، بيد أن ظهور الإسلام هذا الدين الخالص والكمال السماوي أدى إلى حصر الصراط المستقيم بدين محمد ﷺ.

ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة وحساسة، مفادها أن ضرورة حصر الصراط المستقيم بالإسلام لا يؤدي إلى التنكيل بأتباع الأديان الأخرى وبالتالي هلاكهم، وهو ما يتخذه دعاة التعددية، من خلال السفطة، ذريعة لمزاعمهم، بل إن الإسلام يؤيد نوعاً من الشمولية، وسألقي الضوء عليها، في فصل لاحق.

تكامل الدين

إن مصطلح الدين من المصطلحات التي تثير جدلاً واسعاً إلى درجة أنه لم يقم المؤرخون والباحثون في مجال الدين تعريفاً كافياً وشفافاً له. هذا الأمر عائد إلى تعدد المدارس الفكرية وخلافاتها، مدراس تطلق على نفسها صفة الدينية. وقد يبلغ هذا الخلاف درجة التعارض. أما اعتبار الدين أمراً قدسياً حتى ولو ضم أكبر قدر من المصاديق في طياته، فيجعل للدين دائرة تلقي أكثر المدارس الفكرية المادية خارجها.

نفى فيتجنشتاين (١٨٨٩ - ١٩٥١) ضرورة وجود سمة مشتركة بين الأديان^(١)، وادّعى بأن إطلاق لفظة الدين على مختلف الأديان التي لا

(١) راجع: جان هيك: في فلسفة الدين، صفحة ٢٣، مقالة لـ بير الستون در دين و چشم اندازهاي نو، ترجمه غلام حسين توكلي.



يجمعها قاسم مشترك يشبه مصطلح اللعبة، أي من زاوية الشبه الأسري^(١).

نرجع إلى تعريفنا للدين لنوضح قائلين بأننا عندما نستخدم لفظه الدين في هذا الكتاب، نقصد الأديان القدسية والسماوية التي يطلق على مُعتقّيها أهل الكتاب. يحاول الكتاب أن يوضح النقطة التالية وهي: هل الأديان السماوية الشهيرة كاليهودية والمسيحية والإسلام في امتداد بعضها وتسير على خط واحد، وهو الحق والصراط المستقيم، أم أنه بظهور الإسلام قد انتهى دورها وأحققتها وعلى المؤمنين بتلك الأديان ان يؤمنوا بالإسلام ويلتزموا بشريعته؟

الآن حريٌّ بنا أن نتطرق إلى تعريف الدين وتكامله أو تعدده موضحين موقف الإسلام. لقد شهد تاريخ البشرية ظهور مختلف الأنبياء والأديان. ولإزالة الغمام عن الفكر والبحث عن أسباب وجذور هذا التعدد ينبغي أن نجد أجوبتنا في اختلاف المواهب الإنسانية والظروف الاجتماعية المعيشة. لقد شهدت مسيرة تطور الإنسان في قبول وبالتالي تحمل الأمانة الإلهية أي الدين، ثم إرسال الكتب السماوية، مسيراً صعودياً وتكاملياً.

لنوضح هذه العبارة الأخيرة قائلين إن مرور الأزمنة وإرسال الأنبياء وازدهار المواهب البشرية شكّل الأسباب التي خلقت المناخ الملائم لتكامل الدين على الصعيدين الكمي والنوعي، لأنّ شأن الإنسان في مدرسة الأديان شأن تلميذ يدرس في المرحلة الابتدائية ينبغي أن يخطو خطوة تلو الأخرى إلى الأمام وبنجاح للحصول على الشهادات العليا، فكما أنّ المواد الدراسية هي كالسلسلة حلقاتها مرتبطة ببعضها البعض، فالأديان السماوية أيضاً تسير على هذا المنوال ويكمل اللاحق السابق عليه، حيث لم تعرف الأديان الإلهية وفي مختلف الأزمنة، الأحكام الفرعية والفقهية



المتثلة في الأوامر والنواهي، حتى أقدم النبي نوح وفقاً لأسس معروفة، على تأسيس الشريعة كما قام بنشر التعاليم العقائدية ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(١).

الدين واحد والشرائع متعددة

نستنتج مما شرحناه آنفاً أنّ للأديان السماوية جوهرًا واحدًا، أي بعبارة أدق، أنّ القاسم المشترك بين الأنبياء هو قبول الناس دعوتهم بأن يعبدوا الله ويؤمنوا بالتعاليم العقائدية كالتوحيد والمعاد اللذين يشكلان جوهر الأديان. ولا يغيب عن البال أنّ اختلاف درجات الفضيلة ومستوى تعاليم الأنبياء يرجعان إلى تغيير مستوى المخاطب. وبما أنّ مرسل الأنبياء هو واحد وكامل ومطلق وأنّ حاجة البشر إلى الدين نابعة من الفطرة التي لا تغير لها، ففي وسط هذه الحالة يدخل إرسال الأديان والمذاهب المختلفة والمتناقضة في دائرة المستحيل، إذ إنّ القرآن يؤكد على وحدة جوهر الأديان مراراً.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)،

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا﴾^(٣).

(١) الشورى: ١٣.

(٢) آل عمران ١٩.

(٣) حديد ٢٧. يفسر مطهري هذه الآية بعبارات رائعة ننقل ما كتبه حرفياً: إنّ مصدر كلمة قفينا هو قفية وحروفه الرئيسية ق ف و. القفا هو مؤخر العنق. عندما يقف عدة أشخاص في طابور، واحد تلو الآخر كوقوف العسكر يصبح يد كل منهم خلف عنق الآخر في هذه الحالة يصبح وجه الشخص خلف عنق الآخر، لكن الرأس يشتمل على الأمام والخلف إذا قلنا خلف العنق يتبين أنّ هناك في الواقع من يقف في الأمام وهناك من يقف في الخلف. يقول القرآن: نحن أرسلنا رسلاً واحداً تلو الآخر وكانت مهمة الرسول اللاحق تكميل الرسالة السابقة عليه وإنجاز المهمة. ثم قفينا على آثارهم تفيد هذه الآية أنّ النبي سار على الطريق نفسه الذي بدأه الأنبياء من قبله فلا يتوهم أحد أنّ للأنبياء مسارات مختلفة. هناك مسير واحد بدأ من نوح وانتهى عند خاتم الأنبياء أمّا عن الخلافات التي تدور رحاها في التشريعات والتوجيهات والقوانين والتي تشكل الخلاف في الفروع، فلم تكن لتغير المسار الواحد



هذا ما يفسر السبب الكامن وراء استخدام القرآن لفظة الدين بصورة المفرد لا الجمع. ما ينبغي أن نعرفه هو أن ضرورة وحدة الدين لا تؤدي إلى ضرورة وحدة الشرائع؛ لأن الشرائع عبارة عن الأحكام والأوامر على صعيدي العمل والسلوك يصيبها التغيير نتيجة لتغيير المصالح والمتطلبات الزمكانية كما وكيفاً. يقول القرآن:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١).

يقول الشاعر الإيراني جلال الدين الرومي: لكل نبي وولي مذهب بيد أن الكل يتجه إلى الله^(٢). وفي مقام آخر يقول: لا يمكن للرب أن يظهر فينوب عنه الأنبياء. عشرات المصاييح في مكان واحد تختلف في الظاهر لا يمكن أن نفرق بينها عندما نؤمن بنورها وحقيقتها.

هنا وبعدما ألقينا الضوء على بعض من المبادئ التصورية والتصديقية لموضوعنا، ننتقل ومن خلال الفصل القادم، إلى البحث حول الأسس والأدلة القرآنية والروايات التي تثبت حصر الدين الحق بالإسلام وانتهاء أحقية الأديان الأخرى، سيما اليهودية والمسيحية.



= إلى اثنين. آثارهم جمع الأثر أي العلامة، الأنبياء يسيرون على الطريق نفسه وفقاً للعلامات التي تركها من سبقوهم. راجع مطهري: آشنائي باقرآن، ج ٦، ص ١٢٩ - ١٣٠، انتشارات صدرا، طهران.

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) المثوي المعنوي، المجلد الاول.

الفصل الأول

المبادئ القرآنية
وحصر الصراط المستقيم
بالإسلام

1

"

1

...

...

...

...

..

..

-

١. أخذ ميثاق النبيين والأمم الغابرة في اتباع الإسلام

قلنا إن التعددية الدينية التي تؤيد حق الأديان الأخرى في موازاة الإسلام، تتعارض مع مبادئ الإسلام، ومنها القرآن. وبديهي أن دراسة هذه المسألة تتطلب التمحيص والتنقيب عن جوانبها المختلفة مع العلم أنها تحتاج إلى مساحة واسعة للبحث لتفي بالغرض. بيد أننا سنذكر بعض الآيات ونخضعها للبحث في هذا السياق بصورة موجزة.

شاهدنا الأول للدلالة على رفض التعددية هو الآيتان ٨١ - ٨٢ من سورة آل عمران حيث تصرحان بأن الله أخذ ميثاق النبيين والأمم الغابرة بأن يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ عند ظهوره.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

يطالب الله في هذه الآية الشريفة الأنبياء أن يؤمنوا بنبوة محمد ﷺ عند ظهوره وأن يبذلوا جهدهم في سبيل نصرته. إن هذه الآية لها دلالة بينة. فلو كانت للأديان السابقة أحقية وأنها في موازاة بعضها لأصبح أخذ الميثاق

(١) آل عمران: ٨١ - ٨٢.



والطلب بالإيمان ونصرة النبي اللاحق من الملغيات، أضف إلى ذلك أن وصف ناكثي العهد بالفاسقين يدل على وجوب إطاعة النبي اللاحق. ثمة روايات تفسر تلك الآية، منها قول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة في هذا الموضوع^(١).

يقول الإمام الكاظم: «لم يبعث الله رسولاً إلا بنبوته محمد صلى الله عليه وآله ووصية علي^(٢)».

وعن ابن عباس: أوحى الله إلى عيسى بن مريم، يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به^(٣).

من الواضح أن إيمان الأنبياء والأمم السابقة بشريعة الإسلام يعارض نظرية التعددية الدينية، من جهة أخرى وعد الله الذين يرفضون الميثاق ولا يؤمنون بدين الإسلام باللعن والابتعاد عن رحمة الله والعاقبة السيئة.

٢. القرآن الكتاب المهيمن والناسخ

إنّ العمل بالميثاق المذكور آنفاً يشكل ضرورة لأخذه من الأنبياء والأمم الغابرة، لهذا ووفقاً لذلك الميثاق ينبغي على أتباع الأديان الأخرى أن يؤمنوا بالإسلام عند ظهوره. بعبارة أدق انتهت أحقية الأديان الأخرى زمكانياً عند ظهور الإسلام، فأرسل الله رسولاً حاملاً شريعة أخرى بناءً على المتطلبات المراد تحقيقها، ثم طالب الله الناس كافة بالإيمان به. يطلق على هذا العمل قاعدة النسخ. هناك روايات تؤكد على هذه القاعدة. ولكي نوضح الأمر بصورة جلية نقدم بحثاً حول المعنى اللغوي والمصطلحي للفظ النسخ.

يذهب علماء فقه اللغة إلى أنّ النسخ في اللغة يعني الإزالة والإبطال

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٨٩.

(٢) نقلاً عن الملا محسن فيض الكاشاني، علم اليقين، ج ١، ص ٤١٩.

(٣) نقلاً عن الملا محسن فيض الكاشاني، علم اليقين، ج ١، ص ٤٢١.

كما يقول الراغب في مفرداته: النسخ إزالة الشيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظلّ والظلّ الشمسَ والشيب الشباب^(١).

وقد جاء في لسان العرب: النسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه^(٢). لكن معنى النسخ اللغوي يختلف مع معناه المصطلحي؛ لأنّ القول بإزالة الحكم وبطلان ما أصدره الله يدخل في دائرة المستحيل. وعليه، فإنّ عبارة شريعة موسى تنسخ شريعة عيسى لا تعني الإعلان عن الانتهاء وعدم أحقية الشريعة السابقة بل القصد هو انتهاء أمد هذه الشريعة.

يقول العلامة طباطبائي: النسخ بيان انتهاء أمد الحكم وليس بإبطال^(٣).

إنّ النسخ بهذا المعنى لم يشكل مسألة ممكنة الحدوث فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصبح قضية مطلوبة وحسنة عند الله، وتعتبر بمثابة لطف من الخالق للعباد نظراً لعدة جوانب، منها الاختلاف في المواهب والظروف الزمكانية. لهذا نجد القرآن يؤيدها بالقول:

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ وَنَهَىٰ أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

تبين من خلال تعريف النسخ أنّ ميدانه يختص بالأحكام والقضايا الفقهية والشريعة وهي تشكل البعد الثاني للدين، فإنّ نسخ الإسلام الأديان السابقة عليه لا يعني أنه قام بنسخ لب وجوهر وأساس اليهودية والمسيحية وحكم ببطلانها؛ لأنّ شريعة كل دين تكتسب الأحقية وبالتالي تصبح سارية المفعول في الزمن والظروف التي تعيشها، إنّما القصد هو الإعلان عن انتهاء أمد حكم تلك الأديان بعد ظهور نبي الإسلام. بناءً على ما تقدّم فإنّ العبارة التالية لأحد الكتاب الذي يعرف النسخ من خلالها خاطئة عندما

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مادة نسخ.

(٢) راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، مادة نسخ.

(٣) راجع: طباطبائي، العلامة السيد محمد حسين: الميزان، ج ١٩، ص ٢٥٢.

(٤) البقرة: ١٠٦.



يقول: إن النسخ يعني رفض ونفي ونكران أحقية الأديان السابقة وإزالة كينونتها إزالةً. يبدو أنّ القائلين بها قد التبس عندهم مفهوم النسخ في معناه اللغوي والمصطلحي^(١).

أما الموضوع الآخر فهو أنّ عبارة نسخ الأديان السابقة لا تعني نسخ كافة أحكامها العلمية والفقهية، بل إنها تتغير نظراً لمتطلبات الزمن والمخاطب وبلغها الله بوساطة رسله إلى الناس.

إنّ الإسلام يشتمل على تعاليم متكاملة وأصول عقلية وفطرية، تم إيضاح القسم الأعظم منها بوساطة النبي والأئمة المعصومين وترك الجزء الآخر إلى علماء الدين لتبيينه كي يوضحوا بالاجتهاد موقف الإسلام من القضايا المستجدة التي تطرح في الساحة، وهذا ما يشكل الفارق المهم بين الإسلام والأديان السابقة عليه. هذه الميزة المهمة التي تشكل ضرورة للدين الخاتم، مهدت الأرضية لبقاء الإسلام وحيويته وبالتالي عدم مواجهته المآزق على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

فائدة النسخ من عدمه تتجلى في النقطة الأخيرة لأن رفض النسخ والسماح باختيار دين آخر كالمسيحية يقطع الرغبة الدينية عند الناس، والسبب هو أنّ الشرائع الأخرى لا تمتلك إمكانية الخلود وتقديم الأجوبة على الشبهات وحل المعضلات الفردية والاجتماعية التي تعاني منها مختلف الأجيال، وكلما مرت الأيام ظهر عجزها.

النسخ بين التأييد والرفض

من جملة أهل الكتاب، يرفض اليهود مسألة النسخ ويعارضونها بشدة، فهم ينقسمون في هذا الأمر إلى شريحتين، حجة الشريعة الأولى هي عدم

(١) راجع: خرمشاهي، خرمشاهي: قرآن والهيئات جهاني (مقاله)، بينات، عدد، ١٧، ص ١٧٤.

إمكانية صدور مثل هذا الأمر من جانب الله لاستحالة البدء^(١) والندامة. أما الشريعة الثانية فتقبل إلى حد ما إمكانية حدوث النسخ؛ بيد أنها تدعي وجود نصوص تتمسك بها لإثبات رأيهم القائل بأن دينهم خارج عن قاعدة النسخ^(٢).

مهما يكن من أمر فإن علماء المسلمين يعتقدون بأن أصل النسخ وحصر الصراط المستقيم بالإسلام هو أصل مسلم به لا غبار عليه، ولا يمكن الطعن بصحته. وبدوري قمت باستقراء ناقص فلم أجد من يعارض هذا الأصل حتى شاهدت هناك من يدعي الإجماع حوله^(٣).

هناك الكثير من العلماء والمتقدمين الذين يدافعون عن النسخ منهم: محيي الدين بن عربي^(٤)، ابن النوبخت^(٥)، الشيخ الطوسي^(٦)، الشيخ الطبرسي^(٧)، الشريف المرتضى^(٨)، الشيخ الصدوق^(٩)، العلامة الحلبي، فاضل مقداد^(١٠)، ابن شهر آشوب^(١١)، الحمصي الرازي^(١٢)، ابن ميثم

(١) البدء يعني الندامة والعدول عن الرأي والإتيان برأي آخر لم يظهره من قبل بما أنه لا يصيب التغيير ذات الرب فإن البدء يصبح من المستحيل حدوثه.

(٢) هناك خلاف في وجهات النظر حول المصادر التي تتحدث عن مزاعم اليهود برجح، البعض كـ مقداد وفي كتابه المعنون باللوامع الإلهية أنها دخلت في الكتب الكلامية بوساطة ابن الراوندي اليهودي.

(٣) الغزالي محمد بن محمد: المستصفي في علم الأصول ج ١، ص ١١١.

(٤) الفتوحات المكية ج ٤، ص ١٠٧، ج ٣، ص ١٥٢ و ٣١١.

(٥) الياقوت في علم الكلام، تحقيق علي أكبر ضيائي، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤١٣ هـ.

(٦) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص ٢٦٨، دار الأضواء بيروت؛ تمهيد الأصول، ص ٧٤٤.

(٧) تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٢٠٦، المكتبة العلمية الإسلامية (ذيل آية ١٣٥ البقرة).

(٨) شرح جمل العلم والعمل، ص ١٨٤؛ الذخيرة، ص ٣٥٦.

(٩) اعتقادات الصدوق، ص ٩٧ به نقل من بحار الأنوار، ج ١١، ص ٢٨.

(١٠) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، ص ٣١٧؛ اللوامع الإلهية ص ٢٣٦.

(١١) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٩٦، نجف، مكتبة الحيدرية؛ بحار الأنوار ج ١٦،

ص ٣٣٦، ج ١٠، ص ٤١٤.

(١٢) المنقذ من التقليد انتشارات اسلامي، ج ١، ص ٤٣٠.



البحراني^(١)، ابن داوود^(٢)، الشيخ الحر العاملي^(٣)، أما من العلماء المعاصرين فيمكن الإشارة إلى العلامة الشعراني^(٤)، محمد جواد البلاغي^(٥)، محمد جواد مغنية^(٦)، رحمة الله الهندي^(٧)، العلامة الطباطبائي^(٨)، الشيخ محمد عبده^(٩)، الشهيد مرتضى مطهري^(١٠) وآخرين^(١١).

هناك من يدعي أن القرآن لا يحمل أي دليل لا صراحة ولا ضمناً يفيد بنسخ الشرائع السابقة، حيث تراجعوا عن نظريتهم السابقة في كون الإسلام الناسخ لجميع الشرائع أصلاً مسلماً به ولا غبار عليه، طارحين قضية تعدد الأديان والتعددية الدينية^(١٢).

-
- (١) قواعد المرام، ص ١٣٣.
 - (٢) الأرجوزات الثلاث منظمة الطبع، انتشارات وزارة الإرشاد، ص ٩٦.
 - (٣) الفصول المهمة، ص ١٦٠، المطبعة الحيدرية، نجف ١٣٧٨ هـ.
 - (٤) سعادت بشر، ترجمة وشرح كشف المراد، ص ٥٠٣.
 - (٥) الهدى إلى دين المصطفى، محمد جواد بلاغي، ج ١ ص ٢٤٧، نجف منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥ ق.
 - (٦) التفسير الكاشف، ج ١، ص ١٦٩، دار العلم، بيروت، ١٩٦٧ م.
 - (٧) إظهار الحق، ج ١، ص ١٩٦، المطبعة العلمية، ١٣٥٠ ق.
 - (٨) تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٩٧.
 - (٩) تفسير المنار، ج ٢، ص ١٣٨ (ذيل آية ١٨٢، سورة البقرة) دار المعرفة، بيروت.
 - (١٠) مجموعة آثار، ج ١٤، ص ٢٨٩؛ خدمات متقابل اسلام وايران، اسلام ومقتضيات زمان، ج ١، ص ٣٥٦.
 - (١١) جوادى آملی، عبدالله: شریعت در آئینه معرفت، ص ١٠٢، مركز نشر فرهنگي رجاء؛ مصباح يزدي، آية الله محمد تقي: راهنما شناسي، ص ٣٥٩، مركز مديريت حوزه علمية، قم؛ سبحاني، جعفر: معالم النبوة في القرآن الكريم، ص ٦٥؛ معرفت، محمد هادي: مصونيت قرآن از تحريف، ص ١٠٧ و ١٠٨، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم.
 - (١٢) كان يعتقد خرمشاهي سابقاً بأنه لا يوجد أدنى شك أو إشكال بأن الإسلام هو ناسخ الأديان السابقة. قرآن پژوهي، ص ٥٤٢. كتب فيما بعد في معرض رده على مقالتي التي حملت عنوان القرآن والتعددية يقول: صحيح أنه من المعروف أن الإسلام نسخ الأديان السابقة لكن ليس في القرآن ما يدل بوضوح على نسخ ونفي ونكران أحقية أهل الكتاب وعدم نجاتهم وفلاحهم. (مجلة بنيات قران وللهيات جهاني) وفي مقام آخر يقول: لو قام الناقد المحترم بالاستناد إلى القرآن بإثبات أن القرآن يدل على أنه بظهور الإسلام أزيلت أديان =

هذا بينما ترفض ظواهر الآيات ونصوص الروايات هذا الرأي رفضاً باتاً، وستتطرق إلى هذا الموضوع بالإسهاب في هذا الفصل.

إن الله يصف القرآن بالمهيمن والحاكم على الكتب الأخرى بعدما يشير إلى نزول الكتب السماوية:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيَّبًا عَلَيْهِ﴾ (١)

وردت لفظة المهيمن بمعانٍ عدّة مثل الشاهد والمحافظ والمراقب والأمين والمسلط والحاكم. ثم إن ابتداء الآية وانتهاءها يبيّنان أنّ المهيمن في هذه الآية هو القرآن ولعدة اعتبارات، أولها أنه الكتاب السماوي الأخير، وأنه يؤيد الكتب السماوية الأخرى كما يحمل بين دفتيه أصولاً ومعارف حقيقية ويمارس نوعاً من السلطة والحكم على الكتب السابقة عليه وينبغي اعتباره الرسالة الأخيرة الموجهة من الله إلى خلقه وحجة الله ومعياراً لتمييز الحق من الباطل. فإذا قدمنا تفسيراً آخر للمهيمن فهذا يعني حمل اللفظ على معنى آخر ويصبح الوصف لا معنى له لأن لفظة مصدقاً التي سبقت المهيمن في العبارة تفيد تصديق وتأييد الأديان السابقة. هناك روايات عدة تؤيد هذا المعنى كما أنّ النبي يعتبر القرآن وفي عبارة واضحة جلية بأنه الكتاب الحاكم والمهيمن بقوله:

(إن الله عزوجل جعل كتابي المهيمن على كتبهم الناسخ لها) (٢).

=أهل الكتاب من الوجود ونسخت فإنه ينهي بحثنا (مجلة بنيات قران وإلهيات جهاني) - ص ١٧٦.

وراجع: بينا، الدكتور محمود: هفت اسمان، العدد الثاني، ص ٢٢: ما من دليل على أنّ الدين الجديد نسخ السابق عليه، نعم هناك رؤية مفادها أنه عند ظهور النبي علينا اطاعته، هذه الرؤية خطية والقرآن له رأي محايد هنا، في حين أنّ المسلمين لهم رأي آخر. راجع: بازركان، مهدي: قرآن ومسيحيان، ص ٩.

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٢٩، وج ٩، ص ٢٩٢.



في رواية أخرى اعتبر أحد المعصومين ﷺ أن من مزايا النبي محمد ﷺ نسخ الشرائع السابقة عليه بشريعته حيث قال: من جلالته أن الله نسخ بشريعته سائر الشرائع ولم ينسخ شريعته^(١). وفي رواية أخرى يخاطب الله اليهود قائلاً: ما لكم يا معشر اليهود والمكذبين بمحمد والجاحدين نسخ الشرائع من دون الله سوى الله تعالى من ولي يلي مصالحكم^(٢).

وفي رسالة وجهها النبي إلى الحاكم المسيحي زيد بن جهور يعلن فيها صراحة قضية النسخ وانتهاء أحقية الأديان سوى الإسلام ويطالب كافة المؤمنين بترك دينهم واعتناق إسلامهم.

«فليؤمن كل دين دان به الناس إلا الإسلام فاعلم ذلك»^(٣).

إن إنكار النسخ يقتضي بقاء الأديان على أحقيتها والعمل بتعاليمها الدينية وعدم إتباع الأديان. الأخرى لكن النبي رفض هذا رفضاً باتاً. حينما شاهد النبي يوماً ما أحد الصحابة يحمل ورقة من التوراة (تشير بعض الروايات بأن بعض الصحابة كانوا يمدحون بعض الأحكام في الديانة اليهودية) قال وهو غضبان: لقد جئتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي^(٤). قال مطهري شارحاً هذا الحديث: إن حديث عمر يؤكد بصراحة بالغة أن النبي أكد أن التوراة والإنجيل قد نسخت عند ظهور الإسلام^(٥). تحدث الإمام علي مراراً وتكراراً عن حصر الدين الحق بالإسلام وانتهاء أحقية الأديان السابقة ويصرح الإمام بأن الإسلام هو دين الله الذي اصطفاه لنفسه وأذل وخذل الأديان الأخرى عند ظهوره وانتصار

(١) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٣٣٦، وج ١٦، ص ٤١٤ و ٣٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٣٢٩، وج ٩، ص ٢٩٢.

(٣) مكاتيب الرسول، ج ١، ص ١٦٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) راجع: مجموعه آثار، ج ١٤، ص ٢٨٩.

تعاليمه (بمعنى انتهاء أحقيتها وحكمها)، وفي عبارة له يعطي تعريفاً آخر لمصطلح النسخ «أذل الأديان بعزته ووضع الملل برفعه وأهان أعداءه بكرامته وخذل محايديه بنصره»^(١).

٣. محمد ﷺ النبي العالمي

هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تخاطب الناس في كافة أنحاء العالم مطالبة إياهم أن يتخذوا الإسلام ديناً، واصفة الإسلام بأنه دين عالمي يهدي الناس، كما تصف النبي بأنه المبعوث لكافة الناس. منها هذه الآيات:

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٢)،

﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣).

نشاهد أن الآيتين تخاطبان الناس جميعاً ولا تحضران خطابهما في قوم وطائفة معينة، والشاهد على كلامنا هذا وجود الألف واللام في لفظة «الناس».

﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٤)،

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

إن الآية تستخدم كلمتي «جميعاً وكافة» فضلاً عن «أل» في لفظة الناس بهدف التأكيد وتصرح بأن الناس هم كافة البشر.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٦)،

(١) راجع: مجموعة كتب، ج ١٤، ص ٢٨٩.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) الحج: ٤٩.

(٤) الأعراف: ١٥٨.

(٥) سبأ: ٢٨.

(٦) الفرقان: ١.



﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

إن الآية الأولى تصرح بأن هدف تنزيل القرآن على النبي هو توجيه الإنذار إلى كافة الناس (العالمين) والآية الثانية تصف النبي بـرحمة للعالمين.

هذه الآيات تعرّف النبي بصراحة تامة، بأنه نبي للعالمين حيث لم تخرج شخصاً أو أشخاصاً أو قوماً أو مذهباً من هذه الدعوة العامة. وبالتالي يصبح من البديهيات أن تشمل هذه الدعوة أهل الكتاب. وفي غير هذه الحالة فإنه يطعن في شرعية أصل الدعوة العامة وكون النبي بشيراً ونذيراً، على الإطلاق.

هذه هي عالمية نبوة النبي وأن دعوته عامة موجهة لكل الناس. فمن الواضح أنها تعارض التعددية الدينية.

٤. القرآن كتاب عالمي

كما يعرف القرآن نبيّ الإسلام بأنه نبي عالمي، يصف نفسه بأنه كتاب أنزل للناس كافة، وذلك من خلال مختلف الكلمات والألفاظ كالهادي والبيان والبلاغ والنذير والبصائر والموعظة والذكر والنور والبرهان والحجة الإلهية.

﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾^(٢)،

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)،

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِتُنذِرَ بِهِ وَمَنْ يَلْبَسْ﴾^(٤)،

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾^(٥)،

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) إبراهيم: ١.

(٣) آل عمران: ١٣٨.

(٤) الأنعام: ١٨.

(٥) إبراهيم: ٥٢.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ مَدَّ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(١)،
 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢)،
 ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

إن الآيات تؤيد بصورة واضحة ادعاءنا القائل بنسخ الشرائع السابقة ومطالبة الناس بالإيمان بالإسلام والقرآن؛ لأنه لو خرج شريحة من الناس من دائرة هذه الأحكام والتعابير العامة أو كان لهم الخيار في قبول القرآن أو البقاء على كتبهم الدينية، ففي تلك الحالات لا تتحقق الصفات القرآنية السامية كالهداية العامة أو برهان لوصفه بالعموم والمطلق. عندئذ تقتصر تسمية القرآن بالفرقان على معنى الفارق والذي يميز الحق من الباطل على موارد خاصة، بينما القيام بتخصيص وتقييد الآيات الأنفة الذكر يعارض نصها من جهة، ومن جهة أخرى فإن ظواهر الآيات ترفض التخصيص والتقييد كما يقال. هناك روايات عدة في ما يتعلق بعالمية القرآن والرسالة النبوية سنشير إليها لاحقاً.

٥. التبشير بالإسلام في التوراة والإنجيل

لقد تم التبشير بظهور الإسلام وورد اسم النبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل. القرآن الكريم يصرح أن لأهل الكتاب علماً كاملاً بهذا الموضوع ويعرفون النبي محمداً معرفة أبنائهم غير أنهم يكتُمون الحقيقة ويغضون الطرف عنها.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٤).

(١) النساء: ١٧٤.

(٢) الفرقان: ١.

(٣) التكوثر: ٢٧؛ يوسف: ١٠٤؛ الانعام: ٩٠؛ ص: ٨٧.

(٤) الصف: ٦.



﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(١).

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

هذه النقطة الأخيرة أي أن أهل الكتاب يعرفون حقيقة النبي معرفة آبائهم وردت في آية أخرى حيث تضيف أن الكثير منهم يكتُمون الحق.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٣).

يوجد الكثير من الآيات في التوراة والإنجيل تشير إلى ظهور نبي الإسلام في مكة، مع العلم بأن الكثير من التحريف أصاب التوراة والإنجيل. نشير إلى بعض هذه الآيات هنا^(٤)،

الأول: ماذا تفعلون في يوم العيد المعين وأعياد الله لأنهم يذهبون إن يدمروا ستجمعهم مصر وتدفعهم موف^(٥) ومحمد يطالبهم بالفضة كجزية^(٦).

كما أخبر عن ظهور نبي باسم بارقليطا في إنجيل يوحنا أكثر من مرة.

الثاني: لكنني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ^(٧). الثالث: بهذا

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) الأنعام: ٢٠.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) التوراة، كتاب يوشع النبي ٥ - ١٠: ٩.

(٥) هي قبيلة كانت تعيش في مصر وهي التي دفنت قتلى بني إسرائيل بعد الدمار الثاني الذي لحق ببيت المقدس.

(٦) يعني أنه بعد ما ذهب بني إسرائيل - بعد دمار بيت المقدس الثاني - إلى مصر سيكون محمد هو الذي سيأخذ الفضة كجزية لهم. كتاب يوشع النبي آيات الخامسة حتى العاشرة.

(٧) يوحنا: باب ١٦، الآية ٧.

كَلَّمْتَكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ ٢٦. وَأَمَّا الْمُعْزِي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيَّرِسِلُهُ الْآبُ
بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ^(١). الرابع: وأنا
أطلب من الأب فيعطيك معزياً لمكث معكم إلى الأبد^(٢).

(١) يوحنا: باب ١٤، الآية ٢٥ إلى ٢٧.

(٢) يوحنا: باب ١٤، الآية ١٦. من المفيد أن نذكر قصة اعتناق أحد العلماء المسيحيين الإسلام
استلهاماً من لفظة بارقليط وصار فيما بعد أحد علماء الإسلام الكبار وكتب في رد المسيحية
كتاباً ضخماً بعنوان أنيس الإعلام في نصره الإسلام. كتب عن النقاشات والجدل الكلامي
الذي دار بين الطلاب المسيحيين حول فارقليط بالقول: رأيت التلاميذ مجتمعين يتباحثون
في مسألة علمية، وكان حديثهم يدور حول كلمة (فارقليط) في السرياني (ويرقليطوس)
باليوناني، التي ذكرها (يوحنا) في إنجيله نقلاً عن المسيح ﷺ. وكثر الجدل والنقاش حول
هذه الكلمة، واختلفت الآراء في معنى هذه الكلمة، وانتهى النقاش وانصرف التلاميذ دون
الوصول إلى نتيجة... وبعدها رجعت إلى غرفة المطران الأعظم فسألني: يا بني عند غيابي
اليوم بأي موضوع تباحثتم؟ فذكرت له أن التلاميذ اختلفوا في معنى كلمة (فارقليط)
وأوضحت له الآراء التي طرحها التلاميذ في هذه المسألة فسألني: وما كان رأيك في هذه
الكلمة؟ فأجبت بأنني قد اخترت قول المفسر الفلاني. فقال لي: لست مقصراً، ولكن الحق
خلاف هذه الأقوال جميعاً، لأنه لا يعرف معنى تفسيرها هذا الاسم الشريف في زماننا إلا
القليل من الراسخين في العلم، فدنوت منه وجلست عند قدميه، واستعطفته قائلاً: أيها
الأب الأعظم، إنك تعلم شدة تعصيبي للمسيحية، وإنني قد صرفت عمري من أوله إلى الآن
في طلب العلم وتحصيله، فماذا يحدث لو تفضل وتلطف علي، وتوضح لي معنى هذا
الاسم الشريف...؟ فرأيت عينيه اغرورقتا بالدموع وأجهش الشيخ بالبكاء، وقال: يا بني
إنك والله أعز الناس عندي، ولك منزلة خاصة، ومع أن هذا الاسم الشريف له فائدة
عظيمة، ولكن بمجرد انتشار هذا المعنى فإن المسيحيين سوف يقتلوننا معاً، إلا أن تعاهدني
الله على أنك لا تفتني هذا السر في حياتي ولا تذكر اسمي بعد مماتي أيضاً، لأن المسيحيين
إن علموا أن هذا التفسير أنا الذي كشفته فإنهم سيخرجونني من قريتي ويحرقونني... فأغلظت
له الأيمان بالله العظيم القاهر الغالب، وبحق عيسى ومريم ﷺ وبحق كل الأنبياء
والإنجيل، بأنني سوف لن أبوح بهذا السر عنك أبداً، ولا أذكر اسمك في الحياة وبعد
الممات. فاطمأن لي وقال: يا بني إن هذا الاسم هو من الأسماء المباركة لنبي
المسلمين ﷺ وهو بمعنى أحمد ومحمود، ومن ثم ناولني مفتاح تلك الغرفة الصغيرة،
وقال: افتح الصندوق الفلاني ستجد الكتاب الفلاني والفلاني فاتتني بهما، فذهبت وجنته
بالتابيين، وكانا باليوناني والسرياني ومكتوبين على جلد قديم، وقد ترجم لفظ (فارقليط)
فيهما بمعنى أحمد ومحمد.



يذهب بعض المسيحيين إلى أنّ بارقليطا هو النبي الموعود في الإنجيل، لكن مكنم خلافهم هو هل بارقليطا هو نبي الإسلام أم لا؟ بارقليطا لفظة سريانية وهي ترجمة لـ بريكليطوس اليونانية وتعني المحمود^(١).

الخامس: ورد في كتاب إدريس أسماء أهل بيت النبي إضافة إلى اسم النبي حينما شاهد النبي آدم خمسة أشباح منورة وقال الله عند تعريفهم: هم بارقليطا (محمد) إيليا (علي) طبطبة (فاطمة) شبر (حسن) سبر (حسين)^(٢). يوجد في الكتاب المقدس عدة بشارات حول النبي وقد أثار نقاشات كثيرة. يتخذ بعض علماء اليهود والنصارى موقف الإنصاف والعدالة عند مواجهتهم هذه البشارة وإنهم أيدوا ظهور النبي محمد بالتمام والكمال. كما كتب بعضهم كتباً لإثبات نبوة النبي ونسخ الكتاب المقدس؛ من ضمن تلك الكتب كتاب أنيس الإعلام لـ محمد صادق فخرالإسلام والدين والدولة لـ علي بن ربان الطبري^(٣). هناك مفكرون غربيون في عصرنا الراهن أيضاً اعتنقوا الإسلام نذكر منهم البروفسور حامد الغار أستاذ جامعة أمريكا وروجه غارودي المفكر الفرنسي الشهير.

من الواضح أنّ التبشير بظهور الإسلام في الكتب السماوية السابقة لا يعني الإصلاح فحسب، بل القصد هو الإيمان بشريعته كما يدلّ على ذلك ظاهر الآيات حين يلام أهل الكتاب لعدم إيمانهم بالإسلام. إن نبي الإسلام يؤكد بأنهم لا بد أن يؤمنوا بالإسلام لأن التوراة بشرت بظهوره وذلك من

-
- (١) تم حذف بارقليطا في الأناجيل في عصرنا الراهن وتستخدم المعزي بدلاً منه.
 - (٢) بشارات المهدين ص ٢٣٠ من نافل القول إنّ بعض انصار التعددية يعتقدون بأنه تم التبشير بالإسلام في الأديان السابقة. للمزيد راجع: خرمشاهي بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص ٨١٠.
 - (٣) من ضمن هذه الكتب يمكن الإشارة إلى ميرزا محمد رضا صاحب إقامة الشهود في رد اليهود وحاج بابا قزويني كاتب محضر الشهود في رد اليهود والبرفسور عبدالاحد داوود الاسقف المسيحي وكاتب محمد في التوراة والانجيل والبرفسور لكهاوزن الذي اعتنق الإسلام واختار اسم محمد لنفسه وله دراسات نشرت في الصحف.

خلال النقاشات التي دارت مع أهل الكتاب، فانه يخاطب اليهود بالقول: ألم تجدوا في كتابكم بأني رسول الله إليكم وكافة الناس؟ إذا كان هذا هو الواقع خافوا الله واعتنقوا الإسلام.

هذه الروايات تثبت أنّ النبي لم يقبل ببقائهم على الدين السابق، أو كما يقال التيولوجية والإلهيات العالمية فحسب، بل يدعوهم إلى اعتناق الإسلام بصراحة.

اتهام الأنبياء

تبين مما شرحناه آنفاً أنّ الأنبياء في الأساس كانوا على علم بأصل النسخ وظهور النبي من بعدهم، كما كانوا يذكرون اسمه وميزاته حتى يعرفه الناس ويؤمنوا به. سبق لنا وذكرنا آيات من التوراة والإنجيل في هذا السياق. أما الادعاء بأنّ الأنبياء كانوا يعدون الناس عن الأديان والمذاهب الأخرى - بمعناها العام حيث تكون الشريعة السماوية اللاحقة من ضمنها - ويدعونهم إلى دينهم فقط^(١)، فيصبح مجرد اتهام.

٦. دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وتأييدهم

قلنا إن نبي الإسلام هو نبي عالمي، والقرآن كتاب سماوي يخاطب الناس جميعاً في كافة أنحاء المعمورة، ثم إنه يشمل أهل الكتاب من حيث تطبيقه بصورة عامة ومطلقة على المؤمنين به. هذا وهناك الكثير من الآيات تخاطب أهل الكتاب بشكل خاص وتعتبرهم المخاطبين لنبي الإسلام ونزول القرآن وتطالبهم بأن يعتنقوا الإسلام.

يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ

(١) كل نبي وقائد ديني يدعو الناس إلى دينه فقط بمعنى انه لا يمكن ان يصبح تعددياً كان فحوى رسالته في الاساس تنصب على دعوة الناس اليه وابعادهم عن الفرق والمذاهب الاخرى. راجع سروش، عبدالكريم: صراطهاي مستقيم، ص ١٤٠.



تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْمُونَ عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾.

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا
جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

إن الآية الأخيرة تشير إلى ظهور الإسلام بعد زمن على فترة من الرسل
وتحذر أهل الكتاب من رفضهم الإسلام. أما الآية التي سبق ذكرها
فتخبرهم بظهور الإسلام وتذكرهم بأن طريق الإنقاذ والخروج من الظلمات
إلى النور يتحقق في ظل القرآن كما يتجلى الصراط المستقيم في القرآن.

﴿وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَخِفُّونَ اللَّهَ أَهْلَ الْكِتَابِ يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ
أَنْذَارٌ فَاصْبِرْ إِنَّ صِرَاطَكَ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣).

هذه الآية تدعو أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام بصريح العبارة وتعد
الرافضين للإسلام من الكفار.

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾ (٤).

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

لهاتين الآيتين دلالة واضحة، فهما تؤنبان وتذممان أهل الكتاب لأنهم
يكتُمون أحقية الإسلام ويكفرون به.

سيرة النبي ﷺ

دعا النبي، وبتوجيه من القرآن، أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام وترك
دينهم وذلك عبر توجيه الرسائل لرؤساء الدول منها إيران والحبشة والروم

(١) المائة: ١٥ - ١٦.
(٢) المائة: ١٩.
(٣) البقرة: ٤١.
(٤) آل عمران: ٧٠.
(٥) آل عمران: ٧١.

وقادة القبائل اليهودية والمسيحية، داعياً إياهم إلى الإسلام، حدث هذا في برهة زمنية كان الإسلام فيها، يحتاج إلى الأمن والابتعاد عن معاداة القوات الأجنبية.

يمكن استنباط النسخ من هذه الدعوات بوضوح لسبب بسيط وهو: لو لم تنسخ اليهودية والمسيحية وكان لهما الأحقية في موازاة الإسلام فإن إرسال النبي الرسائل وتوجيه الدعوة المتضمنة اعتناقهم الإسلام لم يصبح لها جدوى. أضف إلى هذا أنّ النبي يذكر في رسائله تلك، أنّ الهداية والسير على الصراط المستقيم يمرّان عبر اعتناق الإسلام، وليس لهذا مفهوم سوى النسخ.

يدعو الحاكم المسيحي لـ الحبشة، النجاشي بأن يسير على الصراط المستقيم ويؤمّر به والذي جاءه.

(إني ادعوني إلى الله، حده لا شريك له والموالاتة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإنني رسول الله)^(١).

كما يكتب في رسالة إلى المقوقس الحاكم المسيحي القبطي في مصر وهرقل ملك روم: ادعوكما إلى الإسلام فإذا لم تؤمنا به ستحملان ورز الأقباط والروم كلهم^(٢).

وفي رسائل أخرى يتحدث النبي عن نسخ الأديان السابقة وأنه تمّ التبشير به في تلك الأديان، من جهة، ومن جهة أخرى يصرح بأن الانتصار النهائي سيكون للإسلام.

المهدوية

إن قضية دعوة أهل الكتاب والملل والنحل الأخرى إلى الإسلام وردت

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ١٢١.

(٢) مكاتيب الرسول ص ٩٧ و ١٠٥.



في روايات تتحدث عن ظهور إمام الزمان أو المهديّة حيث نجدها تؤيد تلك الدعوة تأييداً، ذلك أنّ هذه الروايات لا تكتفي بالتحدث عن أنّ الإسلام عُرض على الأمم الأخرى فحسب، بل تهدد الذين يرفضون الدعوة من اليهود والمسيحيين بالقتل.

«فعرض عليهم الإسلام فمن اسلم طوعاً، أمره بالصلوة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب عليه ومن لم يسلم ضرب عنقه، حتى لا يبقى في المشارق والمغرب احد إلّا وُحِد الله»^(١).

فلنتساءل: لو لم تُنسخ الأديان المختلفة وكان لها أحقية، فهل تصبح إرسال الرسائل وتوجيه الدعوات باطلة وملغية؟ ثم ألم يكن من الأصح إن يتحدث النبي الذي أقام الإسلام وأسس حكومة جديدة عن أحقية الأديان والطرق المستقيمة، بدلاً من توجيه الدعوة وبالتالي المواجهة وما يترتب عليها من خلق الأعداء؟

المغالطة وتحريف دعوة الأنبياء

أدرك العديد من دعاة التعددية الدلالة البيّنة والواضحة التي تنص على دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وأنها تبطل نظريتهم، فأضحوا يصرحون بأن مآلهم هو عرض وتعريف التعددية فحسب^(٢).

من الواضح أنّ قولهم لا ركيزة له، ومن الواضح أنّ الإسلام لا يدعو المعارضين ليقدم نفسه ويعرض عليهم ديناً جديداً فقط؛ لأنّه يصف من أدار ظهره له بالكفر وعدم الهداية وعدم الانصياع إلى الحق، وبعدهم بالعذاب الإلهي. تشبه دعوة النبي الناس إلى الإسلام إرشاد الكفيف إلى الطريق الصحيح، وليس كرسام يعرض لوحاته الفنية.

(١) بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣٤٠ وج ١٤ ص ٣٥٠.

(٢) سروش، عبدالكريم المصدر نفسه ص ١٥٦ و ١٨٥.



إن الاستدلال على رفض شريعة أخرى من أنصار التعددية، ضرورة اختيار الإسلام كدين والدعوة له^(١) كبيت العنكبوت وهن ولا ركيزة له بتاتاً، بناءً على ما قلناه سابقاً.

٧. الإسلام شرط لهداية أهل الكتاب

تناولنا حتى الآن بالبحث بعض الآيات التي تبشر بظهور نبي الإسلام وتذم أهل الكتاب؛ أما الآن فسنطرق إلى آيات من القرآن الكريم تؤكد بأن الهداية الإلهية الحقيقية والكاملة تمر عبر اعتناق أهل الكتاب الإسلام؛ كما سيؤدي الإعراض عنه إلى الكفر والغضب الإلهي.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَتَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٢)

﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلِ النَّبِيِّ الَّذِي يَأْتِيهِمُ بِاللَّهِ وَكَانَ فِيهِمُ وَاللَّهُ وَتَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣)

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥)

﴿فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنِ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ تَسْبِيحِكُمْ لِلَّهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦)

(١) إذا كان صديقي على دين الهندوس فله شريعته ولا أرى ضرورة أن أدعوه إلى الإسلام. بينا؛

دكتور محمود: السماوات السبع العدد ٢ ص ١٤.

(٢) المائة: ٦٥.

(٣) الأعراف: ١٥٨.

(٤) آل عمران: ٨٦.

(٥) آل عمران: ١١٠.

(٦) البقرة: ١٣٧.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلْتُمُهُمْ إِنِ اسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا﴾^(١)

إن تلك الآيات، ولا سيما الشرطية منها، التي تعتبر أن اعتناق الإسلام شرط الهداية وغفران الذنوب صريحة الدلالة وتثبت ادعاءنا لأنه لو بقيت الأديان السابقة على أحقيتها فإن ظاهر وفحوى هذه الجمل الشرطية يصبحان من الملغيات. لنأخذ بعين الاعتبار أن شرط الهداية هو اعتناق الإسلام لكي يتضح لنا معنى وفحوى الإسلام في تلك الآيات.

٨. رفض غير الإسلام

إن حقيقة الإسلام هي التسليم المحض والمطلق إلى الله. لكن هذا التسليم يتمظهر في كل عصر في شكل خاص، ويبرز نفسه في إطار خاص؛ خذ مثلاً حقيقة التسليم والإسلام في زمن موسى، إنها قبول دينه، أما في عصر النبي عيسى فهي اعتناق دينه، وفي زمن الإسلام حقيقة التسليم لا تتحقق إلا بشريعة النبي محمد ﷺ.

بعبارة أخرى إن الإسلام الحقيقي يجعل الشخص المؤمن يلتزم بالتعاليم السماوية والأوامر الإلهية. ففي غير هذا إن مثل هذا الإيمان سينتهي بنا إلى الكفر ثم إلى جهنم أو على حد تعبير القرآن إن الإيمان ببعضه يصنف ضمن الكفر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِمًّا﴾^(٢)

بناءً على هذا إن ما يقبل عند الله هو الإيمان الكامل، أي الاعتقاد بأحقيّة الأديان الإلهية، منها الدين الاسلامي باعتباره الدين الأخير والناسخ.

(١) آل عمران: ٢٠.

(٢) النساء ١٥٠ - ١٥١.

الآية الآنفه الذكر تعتبر إيمان أهل الكتاب هو الإيمان بالبعض وتصنفه ضمن الكفر. وهنا يتضح أن الآيات التي تفسر الدين بالإسلام لا تقصد المعنى اللغوي للإسلام أي التسليم إلى الله فحسب، بل تذهب إلى أنه التسليم الكامل لله، ويتحقق ذلك بالإيمان بالإسلام وتصديق نبوة نبي الإسلام كخاتم الأديان وناسخها في نفس الوقت.

الآية التي ستأتي بعد حين تفسر الآية الآنفه الذكر وتؤكد أنه لا يقبل ديناً غير الإسلام عند الله كما تعتبر الراضين له من الخاسرين في الآخرة.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(١)

أما أن نذهب إلى القول، عند تفسير الإسلام في الآية، بأنه التسليم لله وحده فقط وعدم ضرورة الإيمان بدين خاص كالإسلام، فهذا يعارض هذه الآية والآيات الأخرى. ولنتنبه إلى أنه عند تفسير آية ما، علينا أخذ الآيات الأخرى بعين الاعتبار.

فضلا عن هذا إن أول ما تبادره إلى الذهن لفظة الإسلام هو دين الإسلام لا التسليم المطلق في ما يلي آيتان تحصران الصراط المستقيم بالإسلام كسابقتهما:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٣)

إن الآية الأخيرة تعد اعتناق الإسلام البوابة الرئيسية للهداية (سوف ندرس بعدئذ هذه الآية كما سنذكر آراء بعض المفسرين في نقدهم استدلال دعاة التعددية لهذه الآية).

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

٩. تكفير أهل الكتاب

شاهدنا في الآيات السابقة أنّ القرآن يدعو المعارضين، سيّما أهل الكتاب، إلى الإسلام، كما يضع شرطاً لهدايتهم، وهو اعتناق الإسلام. تشير الآيات السالفة الذكر إلى أنّ الدين الذي يُقبل عند الله هو دين الإسلام المقدس، والسبب عائد إلى عدم تحقق الإسلام الحقيقي في حالة عدم اعتناقهم الإسلام.

إن القرآن، من خلال الآيات التي تأتي بعد، حين يصدر حكم الكفر الحقيقي بحق أهل الكتاب بعدما يوجه الإنذار الأخير ويمهلهم، يرى عدم انصياعهم لحكم الله. هذه الشريحة من الآيات تؤكد كسابقاتها على مسألة تتمثل في انه لو لم يؤمنوا بنبي الإسلام ويفرقوا بين الأنبياء سيصبح إيمانهم بالله والمعاد، - وهم يعتقدون به - ، محل ريبة ورفض.

﴿وَأَمِئُوا بِمَا أَنزَلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَيْلًا وَإِيَّائِي فَاتَّقُونِ﴾^(١)

هذه الآية تخاطب اليهود وتطالبهم علناً وصراحة بأن يؤمنوا بالقرآن الذي يؤيد الإنجيل، وتحذرهم من الكفر عند رفضه نتيجة للعناد أو الأهواء المادية.

﴿قَتِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢)

الآية الأخيرة تنهم أهل الكتاب بعدم إيمانهم بالله ويوم القيامة^(٣) وعدم

(١) البقرة: ٤١.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) يجب العلامة طباطبائي في معرض رده على شبهة تقول: كيف يتهم القرآن أهل الكتاب بعدم الإيمان بالله والمعاد بينما تؤيد إيمانهم الآيات الأخرى ٨٥ و ١١١ من سورة البقرة =

الالتزام بدين الحق؛ ولهذا تصدر حكماً بأن يقاتلهم المسلمون حتى يوقفوا الحرب ويعطوا الجزية في نهاية المطاف.

إن لَتَيْنِكَ الآيتين دلالة واضحة على نسخ دين عيسى وموسى؛ لأنه لو كانت شريعة عيسى وموسى هي الصراط المستقيم ولم تُنسخا عند ظهور الإسلام، لَمَا كان من الضروري دعوتهم إلى الإسلام ثم تكفيرهم أو قتالهم في حالة الرفض.

نرجع إلى الآية ١٥٠ من سورة النساء التي أوردناها في ما سبق؛ فهي تعتبر الإيمان ببعض الأنبياء وعدم الإيمان بالبعض الآخر من مصاديق الكفر. هناك آيات أخرى نجدتها تصف أهل الكتاب بالكفار انتهينا من تعداد بعض منها آنفاً وسنشير إلى البعض الآخر لاحقاً.

١٠. النهي عن الارتداد

تضع التعددية الدينية الأديان التي لها أتباع كثر، وبالذات اليهودية والمسيحية، في موازاة الإسلام وتصنفها بـ (الصراط المستقيم). أما ضرورة تحقق هذه الرؤية كما يصرِّح أنصار التعددية فهي أنّ الشخص يهتدي إلى الحق ويبلغ السعادة باختياره أيّاً من الأديان الثلاثة.

هناك من يزعم أنّه يجوز ترك أي من الأديان كالإسلام واختيار دين آخر لأنهم يفترضون أنّ أيّاً منها لا يتمتع بأرجحية أو يحظى بأولوية حيث جميعها تستطيع إنقاذ الإنسان وإيصاله إلى برّ النجاة والهداية، أما القرآن فقد رفض هذه الرؤية رفضاً باتاً في عدة آيات عند طرحه موضوع الارتداد وأبطل حجة دعاة التعددية.

= ثم نفس لفظة أهل الكتاب تؤكد بأنهم مؤمنون يجب: انه سيطعن في إيمانهم بالله والمعاد عند رفضهم الإيمان بالاسلام لان الإيمان كامل لا يتجزأ، وبعبارة أخرى لم يقبل إيمانهم. الميزان ٩ ج ص ٢٤١ ج ٥ ص ١٢٦.



الارتداد مشتق من فعل رد، وهو الرجوع والعودة^(١). يطلق المرتد، في قاموس القرآن، على مسلم ترك دينه واعتنق دين أهل الكتاب أي اليهودية أو المسيحية.

يطرح القرآن موضوع الارتداد في ما يقارب ١٠ آيات، ويمكن تقسيمها إلى فئتين:

النهي عن منع وتأييد الارتداد المطلق

الفئة الأولى:

هي آيات تمنع الارتداد عن الإسلام بصورة مطلقة وتصنفه ضمن الكفر وتعتبره يعادل الضلالة ومحبطاً للأعمال كما أنه من عمل الشيطان ويشمله عذاب الله:

﴿وَمَنْ يَبَدِّلْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢)

﴿وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٣)

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٤)

تثبت الآيات دعوانا بصورة واضحة، حيث تصف الآيات الخروج عن الإسلام والإيمان بالمذاهب والأديان الأخرى بمثابة الكفر والضلالة ويؤدي إلى حبط الأعمال الحسنة، واليهودية والمسيحية هما ضمن تلك الأديان الأخرى، حسب الآيات، ولا سيما الآية الأخيرة التي تنبه المسلمين إلى أن الإسلام هو الدين الذي يحبه الله. ولو فرضنا جدلاً ارتداد

(١) لسان العرب، ج ٣، مادة ردّ وسائر كتب اللغة.

(٢) البقرة: ١٠٨.

(٣) البقرة: ٢١٧.

(٤) المائدة: ٥٤.



المسلمين عن دينهم فإن الله سيأتي بقوم ملتزمين بدينه أي الإسلام؛ يحبهم ويحبونه. تدل هذه الآية على أن الارتداد والخروج عن الإسلام أياً كان شكله يخرج الإنسان من دائرة المحبة الإلهية.

الفئة الثانية:

تشير إلى بعض أهل الكتاب ممن كانوا يحيكون المؤامرات لارتداد المسلمين حتى يعتنقوا دينهم.

نستنتج من مجمل تلك الآيات أن أهل الكتاب كانوا يبذلون جلّ جهدهم لارتداد المسلمين في صدر الإسلام، ويحاولون بشتى الطرق، منها الحرب وخلق الأزمات النفسية كإيمانهم بالإسلام في الظاهر ثم الارتداد عنه، لكي يحققوا أهدافهم المشؤومة في مدة زمنية قصيرة؛ إليكم الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(١)

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَاتَّخَفُوا آخِرَهُ﴾^(٢)

تصنف هذه الآيات الارتداد عن الإسلام بأنه مصداق حبط الأعمال والخلود في النار، وهي لا تنسجم بأي شكل من الإشكال، مع الزعم القائل بتعدد الصراط المستقيمة. الآية التالية تدل بصريح العبارة على قضيتين: الأولى محاولات اليهود والنصارى لجعل المسلمين يتبعون ملتهم وحصر الصراط المستقيم بالإسلام.

﴿وَلَن رَّضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣)

(١) آل عمران: ١٠٠.

(٢) آل عمران: ٧٢. لمعرفة أسباب نزول الآية انظر: الدر المنثور، ذيل الآية.

(٣) البقرة: ١٢٠.



يؤكد الشطر الأول من الآية على أنّ اليهود والنصارى لن يرضوا عن النبي حتى يتبع دينهم ويرتدّ عن الإسلام، والعياذ بالله؛ هنا يجب أن يتحدث دعاة التعددية عن الطرق المستقيمة والمساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام وفقاً لمبادئهم. أما في الشطر الثاني فنجد موقفاً آخر خلافاً لمبادئهم؛ لأن الآية تحصر الهداية بالقرآن بدلاً من تأييدها اليهودية والمسيحية^(١)، ولو ضمنا كما تحذر النبي وبالأحرى المسلمين من إتباع دينهم واصفة جهودهم بالأهواء النفسية، ثم يهدد الله نبيه بقطع العلاقات (بمعنى النصرة والولاية) لو اتبعهم، ذلك لما يترتب على إتباعهم من نتائج حيث إن عملهم هذا يساوي رفض الأحقية الحصرية للإسلام.

إن الآيات تدل على بطلان التعددية بصورة جلية لا تحتاج إلى الإيضاح، وشاهدنا هو إصدار حكم المرتد من قبل النبي والأئمة، كما تروي بعض الروايات وتصرح بوجوب قتل من يرتد عن الإسلام ويعتنق اليهودية والمسيحية. يقول النبي ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه.

أصدر النبي حكماً بقتل المرتدّ وفي عدة مواقف منها عند فتح مكة، كما أمر الإمام علي عليه السلام بقتل عدة مسلمين اعتنقوا المسيحية^(٢). أخيراً أصبح من الواضح أن الحكم أعلاه مع وجهة نظر أنصار التعددية.

١١. تهديد أهل الكتاب بالعذاب

قلنا إن بعض الآيات تعتبر اعتناق الإسلام شرطاً للهداية والسير على الصراط المستقيم، وتلوم أهل الكتاب لأنهم يرفضون الإسلام. يتحدث الله

(١) دليلنا على القول بالحصص هو أسلوب الآية ودلالاتها وقصر القلب احد أساليب الحصر في اللغة العربية. راجع الميزان ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) للمزيد حول قضية الارتداد راجع وسائل الشيعة ج ١٨ ابواب المرتد؛ أصول الكافي ج ٢ كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإسلام يحقن به الدم؛ من لا يحضره الفقيه ج ٤؛ التهذيب ج ٤.

مع الكفار في الآيات الأخرى بلغة العذاب ويصفهم بالكافرين والملعونين
والمطرودين من رحمة الله، وبالظالمين والفاسقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ
وُجُوهًا فَزَرَدَهَا عَلَىٰ آذَانِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَعْصَبَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا﴾ (١)

يحدد الله مهلة زمنية لأهل الكتاب مطالباً إياهم باعتراف الإسلام قبل أن
يطمس وجوههم ويزيلهم من الوجود، أو يصيبهم مثلما أصاب أصحاب
السبت. لا نريد الخوض في تفسير الآية وما هو القصد من طمس الوجوه
أو عذاب أصحاب السبت، لكن تعيين مهلة زمنية وتهديد أهل الكتاب
بالعذاب دليل واضح على ضرورة اعتناق الإسلام وانتهاء أحقية التوراة
والإنجيل.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

هذه الآية تذهب إلى أن أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون في شبه
الجزيرة العربية كانوا ينتظرون ظهور النبي منذ أمد طويل، وكانوا يعلنون في
المناقشات الكلامية الدائرة بينهم وبين الكفار والمشركين في مكة
والمدينة، عن ضرورة رص صفوفهم عند ظهور الإسلام وإلحاق الهزيمة
بالكفار. غير أنهم رفضوا في ما بعد اعتناق الإسلام لأسباب ما. وبذلك
وصفهم الله بالكفار ولعنهم.

١٢. الوعد بظهور الإسلام على الأديان كافة

ييشر القرآن في عدة آيات سنشير إليها لاحقاً، بأن الإسلام سيظهر على
الأديان الأخرى؛ بعدما يصف دين الإسلام المبين بدين الحق.

(١) النساء: ٤٧.

(٢) البقرة: ٨٩.



﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٢)

إن الآية الثالثة كالآية الأولى، تكررت في سورة الصف كما هي.

النقطة المهمة هنا هي أن الوعد الإلهي بانتصار الإسلام لا يعني انتصاره على السلطات الظالمة والأباطرة فحسب، بل يعلن القرآن صراحة بأن الإسلام يظهر على كافة المذاهب والأديان الأخرى يوماً ما ولو كره المشركون والكفار.

ادعأونا مدعوم بأدلة بينة، فلو استمرت الأديان في موازاة الإسلام على أحقيتها لم يكن هناك مجالاً لكي يظهر الله ديناً ما من الأديان الحق.

الألف واللام في لفظة الدين تجعلنا نستنتج ظهور الإسلام على الأديان الأخرى؛ أضف إلى هذا أن عبارة «كله» التي أتت بعد الدين في الآية بغرض التأكيد على استنباط العموم من لفظة الدين، تزيل أدنى شك وريبة ولا تبقى مجالاً لطرح الشبهات. أما الدليل الثالث: فهو تفسير المفسرين الحقيقيين لكلام الله أي الأئمة عليهم السلام أنهم يعتقدون إن القصد من الدين هو الأديان كافة؛ يقول الإمام علي عليه السلام في تفسيره الآية: ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم^(٣).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٤)

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) الفتح: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٣٣٦، ج ١٦، ص ٣٤٧، ج ٥٢، ص ٣٤٠.

(٤) النور: ٥٥.



هذه الآية تعلن انتصار الإسلام النهائي بصراحة، وتذكر بأن أمة الإسلام هي المعنية بالوعد الإلهي.

وردت روايات كثيرة في تفسير تلك الآية وتؤيد بأن الانتصار النهائي على الأديان الأخرى سيكون للإسلام، وسنشير إلى بعضها.

ورد في حديث قدسي أنّ الله تعالى تعهد بأن يجعل الإسلام الدين الغالب والمنتصر على الأديان الأخرى وعلى أتباع الأديان الأخرى أن يعتنقوه أو يؤدوا الجزية إلى المسلمين.

«حق عليّ أن اظهر دينك على الأديان حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك أو يؤدى إلى أهل دينك الجزية»^(١).

إنّ النبي، وفي رسالة موجهه إلى الحاكم المسيحي لليمامة يؤكد أنّ النصر سيكون للإسلام في كافة أنحاء المعمورة من خلال العبارة التالية: واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحاضر^(٢).

يكتب العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الأولى أنها تدل على أنّ الله يريد نشر دينه في العالم، وعلى المسلمين أن يبذلوا جهودهم في سبيل نشره^(٣).

يشير الإمام علي في تفسيره عبارة «ليظهره» بأنها تعني الغلبة وأن الإسلام سيحكم الأرض ويهيمن على الأديان الأخرى ويجيب، عند استشارة الخليفة عمر له لحرب بلاد فارس، إلى تلك الآية:

إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأيده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود من الله حيث قال عزّ اسمه الآية.

(١) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٤٦، ج ١٦، ص ٣٤٧.

(٢) مكاتيب الرسول، ج ١، ص ١٣٦.

(٣) الميزان: ج ٩، ص ٢٤٧.



يتحدث الإمام عن عزة الإسلام وانتصاره على الأديان الأخرى وإذلال أعدائه من كافة الشعوب، وقد أوردناه في الصفحات السابقة عند الحديث عن أدلة النسخ.

ردّ على شبهة

حاول البعض عند طرحهم فرضيات ضعيفة لا تتجاوز الاحتمال أن يشككوا في مصداق الآيات المذكورة؛ حيث استندوا إلى الخلافات بين بعض المفسرين في الضمير «ه» في عبارة «ليظهره» هل هو الدين أم الرسول. ثم تمسكوا بكثرة معاني الآية واختلافها كذريعة لإثبات مزاعمهم لكي يقووا فرضيتهم ويدعموها. فإذا فرضنا أنّ الضمير يعود على رسوله فالآية تعني أنه ليظهر العلم والمعرفة وليس النصر وغلبة الإسلام على الأديان الأخرى كعزة الإسلام وإظهاره على الأديان في جزيرة العرب آنذاك.

من الواضح أن معنى الآية ليس كما طُرح هنا بالضرورة، وهو المعنى الظاهري أساسا الذي يخطر بالبال ولا يجمع رأي المفسرين حوله.

ينقل الشيخ الطوسي عن ابن عباس قوله إنّ الضمير «ه» في «ليظهره» هو الرسول أي أنّ الله يعطيه علم كافة الأديان حيث لا تغيب عنه لا شاردة ولا واردة. إنّ المهم هنا هو أنّ مثل هذا المعنى الدالّ على الظهور والإظهار الذي يرافقه حرف «على» ورد في القرآن. صحيح انها تفيد الغلبة والانتصار أكثر الأحيان، لكن ذكرت مرة بمعنى العلم والمعرفة بالشيء، يقول الله:

﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِقِ نِسَائِهِمْ﴾ (١)(٢).

(١) النور: ٣١.

(٢) قرآن پژوهي، ص ٥٨٤ من اللافت أنّ الكاتب وفي ترجمته للقرآن الذي نشره بعد عامين كشف ان الاظهار يعني العلم وهذه كانت جديدة بالنسبة إليه. راجع سورة التحريم الآية ٣ وسورة الجن الآية ٢ و٣٢.

الناقد الفاضل يفسر الآية، بعد نقده مصداق الآيات الدالة على تكوين الحكومة الإسلامية وظهورها على الأديان الأخرى، قائلاً: قد نستطيع أن نأتي بتفسير آخر ذي شرعية أي انتصار التوحيد على الشرك^(١). ثم يستنتج من هذه الاحتمالات والتفاسير المتعددة: النتيجة، وبعد ما تطرقنا إلى مختلف المعاني لهذه الآية، هي أنه لا يمكن ان نقول بسهولة إن هذه الآية تعلن انتصار الإسلام على الأديان الأخرى^(٢).

عبارة تثير عدة ملاحظات، منها:

(أ) مخالفة ظاهر الآية:

كما أكد الناقد في حديثه، فإنّ أول ما يتبادر إلى الذهن هو معنى الغلبة. وأنّ قاعدة العقلاء والعقل في تفسير الكلام هي البناء على الظاهر، إلا أن نجد ما يثبت خلافه؛ وعليه قلنا إنها تعني الغلبة. هذا هو المعنى الظاهري للآية. اللهم إلا ان يكون هناك من لا يعترف بظاهر القرآن كحجة، لكن، لحسن الحظ، فإنّ الناقد يعترف به ويقبله^(٣).

لهذا فإنّ رفض ظاهر الآية، عند من يقبل بالصغرى (وهي معنى الغلبة في الآية) والكبرى (حجية الظواهر) ليس مسوّغاً لمجرد وجود الاحتمالات الأخرى، والسبب عائد إلى أنّ الاحتمالات لم تبلغ الدرجة التي يمكن معها الطعن بظاهر الآية.

(ب) عدم التناسب مع آخر الآية:

لو افترضنا أنّ «ليظهره» تعني إظهار العلم والمعرفة بمعنى أنّ الله أرسل نبيه بدين الحق ليعلمه خفايا كافة الأديان ولو كره المشركون، فإنّ بداية

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦، مقاله قرآن وقرآن پژوهي.



الآية لا تناسب آخرها ثم إذا كانت القضية مجرد علم ومعرفة يكتسبهما النبي بخبايا الأديان والمذاهب الأخرى فهذا لا يؤدي إلى كره المشركين. بيد أن ما يثير انزعاجهم وغضبهم (انظر استخدام لفظة الإكراه) هو تطور الإسلام وانتصاره على الأديان الأخرى، بينما يصر الله ويؤكد في الآيتين الشريفتين بأنه سيحقق وعده في (ليظهره على الدين) شاء المشركون أم أبوا. إذاً فهذا سياق الكلام ينطق علناً ويفسر لفظة (يظهر).

ج) الروايات المتواترة:

هنالك الكثير من الروايات المتواترة أشرنا إليها من قبل، والتي تؤكد على أن ظاهر الآية هو التفسير الصحيح لها.

د) عدم تحديد معنى العلم:

لو وافقنا على أن مرجع ضمير النصب في «ليظهره» عائد إلى رسوله وليس إلى الدين فلا يمكن القول بأن «ليظهره» تعني العلم والوعي، بل يرجح استنباط معنى الغلبة في هذه الحالة. بمعنى أن: الله نصر الرسول على كافة أتباع الأديان الأخرى، كما يشير الزمخشري إلى هذا المعنى^(١).

هـ) الخلاف في استخدام لفظة «الإظهار» بمعنى العلم:

في ما يتعلق بالقول بأن كلمة الإظهار تعني العلم في عدة آيات من القرآن والتي يذكرها البعض لدعم رأيهم، فيمكن الإتيان بالنقاط التالية:
١. في سورة النور لم يتفق حول معنى العلم ليس المفسرون فحسب بل لم يشترك علماء اللغة والأدب الرأي في هذا المجال حيث نجد أن بعض المفسرين فسروا عبارة لم يظهروا بمعنى الغلبة والانتصار، منهم فخر

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٦٥.

الرازي^(١) والطبرسي^(٢) والعلامة الطباطبائي^(٣) ومن الأدباء الذين ينحون هذا المنحى، الفراء والزجاج^(٤).

٢. لو افترضنا أن كلمة إظهار استخدمت بمعنى العلم في الكثير من العبارات، فبمجرد هذا الافتراض لا يمكن التشكيك في دلالة الآية.

(و) غلبة الإسلام وليس الأديان التوحيدية كافة:

أما عن تفسير الناقد الفاضل القائل بأن كافة الأديان التوحيدية تنتصر على الشرك فلا بدّ من القول إن هذا التفسير لا يعارض ظاهر الآية فحسب بل يخالف نص الآية، والدليل على ذلك أن الله يبشر بانتصار الدين الذي أبلغه الرسول ويؤكد على هذا في عدة آيات منها:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٥)

في هذه الآية يبشر الله المؤمنين ويعدهم بالنصر في أرجاء الأرض، كما يعلن انتصار دين الإسلام ونهاية حقبة الخوف والرهبة. نجد في هذه الآية أن العبارة «ليمكن لهم دينهم» حلت محل «ليظهر» التي كانت مثار الشبهة للبعض، ولا يبدو أنها تترك مجالاً لأحد لإثارة الشبهات نظراً لمعنى التمكين بداية الآية وآخرها وفحواها.

١٣. تحريف التوراة والإنجيل:

لو رفضنا جدلاً الاعتراف بالمبادئ القرآنية والروايات والأدلة الأخرى

(١) الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، ج ٤، ص ١٣٨.

(٢) الشيخ الطبرسي: مجمع البيان ج ٤ ص ١٣٨.

(٣) الميزان ج ١٥ ص ١١٢.

(٤) التفسير الكبير.

(٥) النور: ٥٥.



التي تثبت النسخ وانتهاء أمد الشرائع، ثم في المقابل اعترفنا بأحقية المسيحية واليهودية، فهذا يقتضي الاعتقاد بأن الله طلب من اليهود والنصارى كما المسلمين القيام بتعاليم وتكاليف شرعية وعملية وبلوغ الدرجات المعنوية وتحقيق أصل العبودية، وعليه يصبح عدم القيام بها بمثابة تمرد وارتكاب للمعاصي.

هنا تبرز النقطة الهامة التي تقول: لو كانت هناك أدلة تثبت تحريف دين إلهي ما أو تحريف الكتب الدينية والسماوية، فما هي مسؤولية طلاب الحق في هذه الحالة؟ ثم هل يجوز لأتباع دين محرف حلل الحرام وحرّم الحلال البقاء على شريعتهم المحرفة وعندهم دين إلهي صحيح وحق؟ ألا يؤدي هذا الدين بهم إلى ترك التعاليم الإلهية؟ ألا يحكم العقل السليم بأن يؤمنوا بالشرعية الخالصة للانصياع للتعاليم وعدم مخالفة الله؟

لا يبدو أنّ هناك من يشكك في قضية العودة إلى الشريعة الخالصة والحقّة، لكن المشكلة الرئيسية هي إثبات ثم تطبيق الصحيح من غير الصحيح. أقول متأكداً بأن هناك أدلة ومستندات كثيرة تثبت تحريف المسيحية واليهودية، أشير إلى بعض الآيات التي استند القسم الأعظم من المفسرين إليها:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَنَئُونَ لِلْكَذِبِ لِقَوْمٍ لَّا خَيْرَ لَّهُمْ يَأْتُونَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾^(١)

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَدَّعْنَا لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ﴾^(٢)

﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَكَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالَ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا لِيَلَا

(١) المائدة: ٤١.

(٢) النساء: ٤٦.

يَتَّبِعُهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نُصْرَتُهُ أَخذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١﴾

﴿أَنْظِمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَمْكُورُونَ﴾ (٢)

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٣)

يتحدث الله بكل صراحة، في هذه الآيات، عن تحريف الكتب بوساطة
علماء اليهود والنصارى، ويذكر بأنهم كتبوا الكتب بأيديهم ليشتروا ثمنًا
قليلاً.

نقل الطبرسي في أسباب نزول الآية الأخيرة عن ابن عباس، أن الآية
تخاطب اليهود والنصارى باعتبارهم من حرفوا الإنجيل والتوراة فأضافوا
إلى الكتاب أو حذفوا منه (٤).

التشكيك بعدم دلالة القرآن على تحريف الكتاب المقدس

هناك من يزعم أنّ القرآن لا يدل على تحريف التوراة والإنجيل في
دلالة الآية الآنف الذكر قائلا:

نرى أنه ليس في القرآن ما يدل على حدوث التحريف المصطلحي في
التوراة والإنجيل، أي الإشارة إلى تغيير نص الكتاب بالزيادة والنقصان،
بل يقول القرآن إنها تعرضت للتحريف المعنوي وإنهم فسروه بغير معناه ثم

(١) المائة: ١٣ - ١٤.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) البقرة: ٧٩.

(٤) للمزيد راجع: جوادى أملي عبدالله: شريعة در آئینه معرفت، ص ١٠٢ مركز نشر فرهنگي
رجاء، مصباح يزدي، محمد تقي: راهما شناسي، مصباح يزدي ص ٣٥٩ مركز مديريت
حوزه علمية، قم، سبحاني، جعفر معالم النبوة في القرآن الكريم ص ٦٥.



لا يوجد أي دليل في الكتب الإسلامية وأحاديث كبار علماء المسلمين يدل على وقوع التغيير والتحريف والتبديل في الإنجيل والتوراة^(١).

ألفت النظر إلى عدة نقاط مثيرة للتأمل:

(أ) هناك بعض الآيات تدل على وقوع التحريف في اللفظ والمعنى، واستنبط بعض المسلمين في صدر الإسلام كابن عباس الذي تطرقنا إلى قوله، والقسم الأعظم من المفسرين، بأن معنى التحريف المقصود هو التحريف المطلق وسنشير فيما يلي إلى بعض من هؤلاء.

يكتب الطبرسي مفسراً يحرفون «الكلم عن مواضعه»: أي يبدلون كلمات الله وأحكامه عن مواضعها^(٢).

يقول فخر الرازي مفسراً نفس الآية: هذه الآية تثبت أن أهل الكتاب قاموا بالتحريف على مستويين، الأول التأويل، والثاني الحذف؛ قاموا بتأويل خاطئ لبعض الآيات كما حذفوا بعضاً منها^(٣).

أما عن عدم استبعاد التحريف على المستوى الثاني، أي الحذف فإنه يشير إلى تواطؤ واتفاق علماء اليهود^(٤).

كما يتحدث الزمخشري في تفسيره عن تحريف كلام الوحي والحذف في التوراة، بالقول:

يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم؛ لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظاً) وتركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافياً (ما ذكروا به) من التوراة^(٥).

(١) معرفت، محمد هادي: مصونيت قران از تحريف، ص ١٠٧.

(٢) مجمع البيان، ج ١، ص ٤٦٤؛ التفسير الكبير، ج ١٠، ص ١١٨.

(٣) تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٦٤.

(٤) التفسير الكبير، ج ٨، ص ١٠٧.

(٥) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٦٠٠.

كما يفسر محمد رشيد رضا أنّ التحريف هو الزيادة أو النقصان^(١). أما المفسر المعاصر صاحب الميزان فيشير في مواقف عدة إلى أنّ التحريف الذي أصاب الإنجيل والتوراة يتمثل في الزيادة والنقصان، والقرآن يدل على هذا بوضوح:

التوراة الموجودة عندهم اليوم فيها شيء من التوراة الأصلية النازلة على موسى، وأمور حرفت وغيرت إما بالزيادة أو النقصان، أو تغيير اللفظ أو المحل أو غير ذلك، وهذا هو الذي يراه القرآن في أمر التوراة^(٢).

وبعض المعاصرين لهم نفس الرأي فيما يتعلق بتحريف الكتاب المقدس^(٣).

ب) تدعم بعض الروايات تلك الآيات الدالة على تحريف الكتاب المقدس. روي عن الصادق عليه السلام وتركوا كثيراً من شريعته وحرفوا كثيراً منها^(٤).

ج) هناك مجال لمناقشة دلالة الآيات والروايات التي تذهب إلى تحريف التوراة والإنجيل؛ بيد أن الدليل الحاسم على تحريف الكتب المقدسة هو مشكلة الكتب نفسها في المرجع والمفهوم. يشكك بعض الباحثين ودارسي التاريخ في انتساب هذين الكتابين إلى موسى وعيسى، وأثبتوا أن أكثر أقسامهما كتبت بأيدي أشخاص. أضف إلى هذا أنهما

(١) هو إمالاته وتنحيته عنها كان بزيادة بالمرة أو يضعوه في مكان غير مكانه من الكتاب أو المراد بمواضعه معانيه كانوا يفسرونه بغير ما يدل عليه. تفسير المنارج ٥ ص ١٤٠.

(٢) الميزان، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٣) على سبيل المثال راجع إظهار الحق ج ١ ص ١٢٦ وفيه يشير الكاتب إلى ما يزيد عن ١٠٠ مورد لتحريف الكتاب المقدس؛ الهدى إلى دين المصطفى، ميرزا حسين نوري فصل الخطاب ص ٣٥؛ اسرئيليات القرآن محمد جواد مغنية ص ١١٥ دار الجواد بيروت ١٤٠٠ هـ؛ صحيفة نور ص ١٢٢ وج ٢ ص ٢٢٩ مجموعة آثار مرتضى مطهري ج ٢ ص ٢٩ و ٣١ و ٢٢٢؛ راهناشناسي، ص ٢٨٠؛ شريعة در آئينه معرفت ص ١٠٤، ١٠٥، ١٢٣، ٣١٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ١١، ص ١٢.



يشتملان على اتهامات للأنبياء وتناقضات كمصارعة النبي يعقوب لله، شرب الخمر والأعمال المنافية للأخلاق و... فإن هذا لا يترك مجالاً للشك في تحريف الكتب.

(د) هناك رأي مفاده أن القرآن لا يرفض تحريف الكتب المقدسة، لكن يعتبر التوراة والإنجيل بأنها كتب سيرة الأنبياء والحواريين وليست كُتُب الوحي أو كتباً سماوية فإن القرآن لا يشكك بأن التوراة والإنجيل ليست موجودة بين أيدي أحد كما لا يؤيد تحريفها. أما آيات التحريف فتدل على تحريف المذهب والتفاسير الخاطئة لعلماء أهل الكتاب، أو كما يذهب المناطقة: صدق القضية السالبة بانتفاء الموضوع أي أن عدم دلالة القرآن على التحريف ليس بسبب أنها خالصة بل لعدم وجودها كما تقول الآية:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)

ينسب الفخر الرازي هذا الرأي إلى المتكلمين.

يبدو أنه بالإمكان الجمع بين الرأيين بالشكل التالي: إن النظرية الأولى التي تذهب إلى أن القرآن يدل على التحريف اللفظي (النقصان والزيادة وتغيير الكلمات) للكتاب المقدس تقصد الكتاب المقدس في فترة الرسالة والعقود التي تسبقها (الترجمة والكتابة الناقصة المحرّفة). أما النظرية الثانية التي تدعي بأنه لا يوجد في القرآن دليل على التحريف، كما أنّ هناك بعض الآيات التي تدل على عدم التحريف، فإنها تقصد أصل التوراة والإنجيل حيث فقدت نسخها الرئيسية إبان ظهور المسيحية.

النتيجة واحدة والطرفان يشتركان فيها، وهي أن الكتاب المقدس الذي بين أيدينا هو محرف وغير صحيح.

وفي ضوء فقدان التوراة والإنجيل أو تحريفهما فإن العقل يحكم بتبعية



الدين الصحيح الخالص المتمثل في الإسلام مطالباً أتباع الأديان الأخرى ان يخضعوا لهذا الكتاب السماوي الأصيل، ولو كان من باب الضرورة.

ختم الكلام

هنا وبعد ما وصلنا إلى نهاية المطاف، نشير إلى نقطة مهمّة وهي أنّ نسخ الأديان الأخرى ووجوب اختيار الدين الإسلامي باعتباره الصراط المستقيم يستدعيان خروج أتباع الأديان الأخرى عن الصراط المستقيم. بيد أنّه حتى لو لم تسطع شمس الإسلام بنورها على قلوب البعض ممّن جهلوا وليس جحدوا أحقية الإسلام، فإنّ إصغاءهم لنداء قلوبهم أي العقل والفترة، سوف يبعدهم عن العذاب ليتسنى لهم الاستفادة من المائدة السماوية الواسعة. لا بد من البحث عن تفاصيل هذه القضية وأدلتها في مقام آخر^(١).



(١) راجع: قدران ملكي كند وكاوي در سويه هاي پلوراليزم، ص ١١٠ ومقالة كافر مسلمان ومسلان كافر مجلة كتاب نقد العدد ٤٤.

172

3

4

5

6

7

8

9

10

11

الفصل الثاني

القرآن

والمداراة المذهبية

والاجتماعية

1

2

3

4

5

6

7

8

تحدثنا مفضلاً في الفصل الأخير عن مبادئ حصر الصراط المستقيم والدين الحق بالإسلام. يزعم أنصار التعددية كجون هيك أنّ مسألة حصر الدين تؤدي إلى عدم المداراة وعدم انتهاج الحياة السلمية مع أتباع الأديان الأخرى^(١). اعتبر فولتير المفكر الغربي الشهير بأنّ الإسلام هو دين العصية وذلك في كتابه (التعصب أو محمد)^(٢) كما تحدث بعض المثقفين عن تعارض^(٣) أو تقييد^(٤) مبدأ المداراة والتسامح مع مبدأ حصر الصراط المستقيم بالإسلام.

يكفي إلقاء نظرة عابرة على القرآن والسنة النبوية لنكشف بطلان مثل هذه الأوهام ونبرهن على المداراة والتعايش السلمي للدين الإسلامي مع أتباع الأديان الأخرى.

في ما يلي سندرس بعض الآيات وفقاً لموضوع الكتاب.

١. لا إكراه في اعتناق الإسلام

الإكراه في اعتناق دين ما أحد أسباب ظهور العنف، وهو يزعم أركان

(١) الدكتور محمد لكنهاوزن: بلوراليزم، مجلة معرفت عدد ٢٢ ص ٢٠.

(٢) يقال إن فولتير اتجه إلى الإسلام بعد دراسات أكثر واعترف بارتكابه أخطاء حول الإسلام. راجع الدكتور جواد حديدي اسلام از نظر ولتر.

(٣) سروش عبدالكريم: مجلة كيان عدد ٣٧ وعدد ٢٨.

(٤) مجتهد شبستري، محمد مجلة كيان عدد ٢٨ ص ١١. ومحمد اركون مجلة كيان عدد ٢٧،



التعايش السلمي بين أتباع مختلف الأديان لأنهم قد يشكلون النسيج الاجتماعي في مجتمع ما حيث تحافظ كل فرقة على المبادئ والتعاليم الدينية الخاصة بها، وتمتع جنباً إلى جنب الفرق الأخرى بحياة آمنة.

ما يعرّض التعايش السلمي والمداراة بين الفرق الدينية لتهديد خطير هو وجود نظرية الإرغام والإكراه في المنظومة المعرفية لدين ما حيث تلزم الفرق كلها بإتباع دين خاص. لأنه لو امتلك دين يتبنى هذه النظرية القوة والسيطرة فإنه سوف يرغم أتباع الأديان الأخرى على ترك دينهم واختيار دين خاص، وبالعكس ذلك سيتعرّض التعايش السلمي الاجتماعي لأتباع الأديان الأخرى إلى مشاكل حادة، لا بل سوف تصبح حياتهم الشخصية وثوراتهم مهددة، وقد سجّل التاريخ الكثير من هذه الأعمال^(١).

إن الإسلام يدعو كل الناس ومختلف الفرق إلى اعتناقه، ويرى إن كان رفضه يأتي نتيجة للعناد والإنكار، فهذا العمل يلحق بالرافضين العذاب في الآخرة. لكنّه يفرّق بين حساب الناس في الدنيا وفي الآخرة، أي أن القرآن يدعو بادّي ذي بدء جميع الناس إلى اعتناق الإسلام، كما بذل النبي كل جهوده في هذا السبيل. ومع هذا فإنه لا يرغم الناس على اختيار الإسلام، ويذكر أن رفض الإسلام لا ينزل العذاب ويسبب المعاناة في هذه الدنيا، لكن الناس يتحملون مسؤولية ما قاموا به في الآخرة. يقول القرآن:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَر أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَمْ يَكُن لَّهُمْ

(١) يقول المفكر الغربي ميشو في هذا الصدد عندما فتح المسلمون بيت المقدس لم يلحقوا بالمسيحيين الأذى لكن حدث العكس عندما فتح النصارى هذه المدينة فإنهم قاموا بقتل المسلمين بأبشع الصور كما أحرق اليهود عندما جاؤوا إلى هناك بوحشية. نقلا عن غوستاف لوبون تمدن اسلام وعرب، ترجمه سيد هاشم حسيني، ج ١، ص ١٤١ - ١٤٦.



فيما يلي نشير إلى بعض الآيات التي ترفض الإكراه والإرغام في اعتناق الإسلام.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)

كتب المفسرون في أسباب نزول الآية: رفض بعض أبناء النصارى الذين آمنوا بالإسلام اعتناق الإسلام. فبعدما أحس آباؤهم بخيبة أمل جراء عدم إيمان أبنائهم بالطرق السلمية طالبوا النبي كي يرغمهم بقبول الإسلام عبر مبدأ الإلزام في الحكم فنزلت هذه الآية لتتفي ذلك المبدأ:

﴿وَقُلِ الْاَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾^(٣)

في البداية يؤكد الخالق من خلال تلك الآيتين على الهدف الرئيس لخلق الكون المتمثل في هداية الناس إلى الصراط المستقيم ثم يذكر بان هذه الهداية لا تتم بالإكراه وللجميع الحرية في اختيار الكفر أو الإيمان لهذا يشدد القرآن على هذا الموضوع مراراً وكراراً ويعبر عنها بعبارات مختلفة منها:

﴿وَأَن تَقُولُوا فَرِحْنَا بِمَا عَلَيكَ الْبَلَاءُ﴾^(٤)

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^(٥)

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٦)

تقول الآيات السابقة إن وظيفة النبي هي التبليغ وإيصال الرسالة الإلهية

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الانسان: ٣.

(٤) ال عمران: ٢٠.

(٥) قاف: ٤٥.

(٦) الغاشية: ٢١ - ٢٢.



إلى الناس، وتصرح بأن هذا لا بد أن يتم عند امتلاك الناس الحرية والبصيرة والبرهان في الاختيار وأن استخدام العنف لا يجدي نفعاً.

هذا القول لا يختص بالإسلام فقط بل إنه كان في الأديان السابقة كما يخاطب النبي نوح قومه قائلاً:

﴿أَنْذِرْكُمْوَمَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِرُونَ﴾^(١)

يقول الشهيد مرتضى مطهري في هذا المجال:

هناك الكثير من الآيات في القرآن تؤكد بأنه ينبغي أن يصلح الدين بالدعوة وليس بالإرغام. هذا يؤيد أن الإسلام لا يريد أن يقول للناس وبالإكراه إما أن تصبح مسلماً وإما تقتل، كما توضح الآيات بشكل ما مفهوم الجهاد^(٢).

٢. مشروع الحوار المنطقي مع الأديان الأخرى

إن فتح منافذ الحوار والنقاش المنطقي يشكل إحدى الركائز لنشر التفاهم وفكرة التسامح والتعايش بين الفرق والمدارس الفكرية المختلفة في المجتمع. اهتم دين الإسلام المقدس منذ البداية بالحوار وطالب نبيه بأن يضع الحوار أساساً للتبليغ وعرض الدين، وأن يستخدم المنطق في دعوته، كما أن الحوار يكتسب أهمية ومكانة هامة بحيث إن لفظة الحوار والقول وما اشتق منهما تأتي بعد لفظة الله^(٣) في القرآن.

يطالب القرآن النبي بأن يضع الحوار والمنطق والحكمة والجدل الأحسن أساساً للتبليغ وعرض الدين، سواء كان طرفه المعارضون أم المسلمون.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

(١) هود: ٢٨.

(٢) مطهري مرتضى: جهاد و ص ٣٣. انتشارات صدرا.

(٣) راجع بازركان عبدالعلي: آزادي در قرآن، ص ٦١.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)

هاتان الآيتان الهامتان تؤكدان أن تبليغ الإسلام يتم عبر البرهان والخطابة والجدل الأحسن وتقولان لنبي الإسلام: عليك أن لا تتجاوز قاعدة الجدل الأحسن حتى عندما تناقش أتباع الأديان الأخرى. يشير المفسرون في تفسيرهم الجدل الأحسن، إلى إجراء الحوار على أساس الصداقة والليونة في الكلام والابتعاد عن العنف والإهانة^(٢). كما يستند مطهري إلى تلك الآيات باعتبارها دليلاً آخرًا لرفض الإكراه في اختيار الدين في الإسلام^(٣).

الدعوة إلى القواسم المشتركة

قلنا إن الإسلام عندما يفتح باب الحوار ويناقش الأديان الأخرى يريد الإتيان بأدلة تثبت أحقيته لكي يتسنى لأتباع الأديان الأخرى أن يؤمنوا بالإسلام ويسيروا على الصراط المستقيم بوحي. إن القرآن لا يدعم النظرية الشهيرة القائلة: كل شيء أو لاشي. فهو لا يقول بأن الحوار إذا لم يؤد إلى نتيجة ملموسة فلا بد من غلق هذا الباب واللجوء إلى طرق أخرى، بل إنه يشدد على ضرورة استمرار الحوار بين الأديان، فإذا لم نحصل على نتيجة حاسمة، فسوف نحصل عليها في المستقبل. كما تطالب الآية في صدرها النبي أن يتحدث عن الوشائج الدينية التي تربط المسلمين بأهل الكتاب المتمثلة بأصل التوحيد وإيمان المسلمين بكتبهم السماوية لكي تخلق أرضية للتفاهم والمداراة بين أتباع الأديان.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾^(٤)

(١) العنكبوت: ٤٦.

(٢) تفسير الميزان ج ١٦، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) مطهري مرتضى: المصدر نفسه.

(٤) العنكبوت: ٤٦.

وفي آية أخرى يدعو الله إلى الإلهيات المشتركة، ويحذر من امتزاج التوحيد باعتباره جوهر الأديان السماوية بمرض الشرك.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَنَّوْا لِي كَلِمَةً سَوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(١)

تطالب الآية أهل الكتاب أن يجتمعوا تحت مظلة سماوية واحدة ومشاركة متمثلة بأصل التوحيد وأن يستمروا بالتعايش السلمي مع المسلمين.

٣. رفض استغلال الناس واستعبادهم

إن المساواة في حقوق الأفراد في المجتمع وعدم استعباد الضعفاء من قبل الأقوياء والأثرياء، يشكّلان أحد مكونات المجتمع المثالي والمدينة الفاضلة، أو كما يقال المجتمع المدني؛ بعبارة أخرى، لا بد من إزالة الأرضية التي تمهّد للاستغلال الذي يمارسه الفرد والحكومة في المجتمع البشري إزالة كاملة لتحل محلها الحرية والمساواة في الحقوق.

يشير القرآن إلى هذه النقطة الحساسة ويرفض بشدّة إتباع الأنبياء لأساليب العنف في دعوة الناس إلى طاعة الله، فهناك آية تقول إن أحد أهداف الأنبياء هو تحرير الناس من عبودية الطاغوت.

﴿مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢)

يعتبر الله في الآية التي تأتي لاحقاً أن أحد واجبات نبي الإسلام هو تحرير الناس من الأغلال التي تفرضها طبقة خاصة.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) آل عمران: ٧٩.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

يحذر الله في آية أخرى أهل الكتاب من التكبر والعنصرية واستعباد الآخرين حتى لا تتضرر عملية التفاهم السائد بين أتباع الأديان الأخرى.

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّيْمٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾^(١)

يؤكد الإمام علي عليه السلام أن أحد أهداف بعثة نبي الإسلام يتمثل في تحرير الناس من استغلال وعبادة بعضهم البعض، إلى عبادة الله الواحد فقط حيث يقول:

فان الله بعث محمداً ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته^(٢).

٤. الدعوة إلى المداراة ومعاملة الكفار بالحسنى

قد يستنبط أحد أن دائرة تعايش الإسلام مع المعارضين تخصّ أتباع الأديان السماوية وبالذات مع اليهود والنصارى، أي أهل الكتاب، ويرفض (الإسلام) التعايش مع الكفار والمشركين، والقرآن يتخذ المواجهة وعدم المداراة عند التعامل معهم. لكن لو تأملنا في مجمل الآيات التي تدل على كيفية مواجهة الكفار فسوف يزول هذا التوهم.

إن التأمل في مجمل الآيات التي تدعو إلى الجهاد ومواجهة الكفار والمشركين يبيّن لنا أن مواجهةهم للإسلام هي السبب في تصدي الإسلام لهم^(٣). فلو اكتفى الكفار بعقائدهم ولم يتخذوا موقف المواجهة والقتال مع المسلمين سبيلاً لما كان القرآن أمر بمواجهتهم والجهاد ضدهم بل كان يدعو النبي إلى المداراة والتعايش معهم بسلام.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٥٤.

(٣) راجع: الحج: ٤٠ والبقرة: ٩٠ والتوبة: ١٧. للمزيد راجع: مرتضى مطهري: جهاد.

(٤) الأنفال: ٦١.

﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْبَلِكُمْ فَتَمَّ بِكُمُ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾^(١)

إن الله لم يخرج حتى المنافقين من دائرة المداراة ولم يأمر بقتالهم، ففي الآية التي يأمر فيها بقتال المنافقين. ينهى عن مقاتلة المنافقين الذين تربطهم عقود ومواثيق بالمسلمين أو من أتعبتهم أفعال الحرب ويريدون السلام.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَحْذَرُوا مِنْهُمْ وَإِيَّاكُمْ وَلَا تَصِيحُوا بِإِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِيتٌ أَوْ جَاهٌكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْبَلُواكُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ﴾^(٢)

كما يأمر القرآن المسلم بالتعامل بالعدالة والقسط معهم وأن يعيشوا بسلام ويتتهجوا التعايش السلمي.

﴿لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣)

لا يعتبر الله في هذه الآية أن مجرد تبني الكفار عقيدة الكفر مدعاة لقتالهم والتصدي لهم وطرح المداراة معهم، بل المعيار الذي يضعه هو إلحاقهم الأذى بالمسلمين لهذا يدعو إلى الإحسان بحق الكفار عندما لا يكونون في حالة حرب مع المسلمين.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤)

تعد الآية الأخيرة أهم الأسس الرئيسية للتعاليم الأخلاقية والمداراة، فالله يصدر العفو في هذه الآية (بمعنى غض الطرف عن سيئاتهم وعدم

(١) النساء: ٩٠.

(٢) النساء: ٨٩ - ٩٠.

(٣) الممتحنة: ٨.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

الأخذ بالثار ثم اختيار الاعتدال) عن الكفار الذين لم يؤمنوا بنبوته النبي ولم يلحقوا الأذى الجسدي والمعنوي بالنبي.

هنا يطرح السؤال التالي نفسه وهو هل كانت هذه الآية تختص بفترة الضعف التي كان عليها النبي؟ ولعلّ العفو الذي أصدره النبي عند فتح مكة عن جميع الكفار والمشركين^(١) ممن كانوا قد ألحقوا أضراراً بالنبي من النفي والتأمر لقتله، يدحض تلك المزاعم ويبيّن خطئها.

هناك آية أخرى تنهى المسلمين عن سب الكفار وإهانة معبودهم حتى لاتخلق أرضية للنزاعات ويسب الكفار الشعائر والمقدسات الدينية.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢).

أشرنا حتى الآن إلى بعض الآيات التي تتمحور حول مبدأ المداراة والتعايش السلمي مع المعارضين، وسنشير فيما يلي إلى أحاديث النبي والإمام علي عليه السلام نظراً إلى أهمية أحاديثهما باعتبارهما القرآن الناطق.



(١) خرج ١٣ من المشركين عن دائرة العفو الذي أصدره النبي حيث كانوا من شرالمشركين ومروجي الفتن ومرتكبي القتل والمرتدين ثم عفا النبي عن ٨ منهم لاحقاً أشهرهم وحشي ابن حرب قاتل حمزة وهند أكلة الكبد والمحرضة في غزوة أحد وقتل أربعة اشخاص منهم عبدالله بن خطل وسارة لارتدادهم عن الإسلام والحويث وخادمة عبدالله بن الأخطل لتحريضهم المشركين بإنشادهم الأشعار ضد النبي وأثاروا فتناً عديدة. راجع: تاريخ ابن الأثير، ج ٢، وسيرة ابن هشام، ج ٢، وفروغ ابديت، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٢) الأنعام: ١٠٨.

1 3

.

4

.

5

6

7

8

9

10

11

سيرة النبي ﷺ

١. مساواة الناس

كان النبي وباستلهام من آيات القرآن يعامل المعارضين والرافضين للدين معاملة ملؤها العطف والرحمة، فقد كان يعتبر كافة الناس أبناء آدم خلقهم الله من تراب. هذه النقطة لا تدل على مساواة الناس فحسب بل تدل على مبدأ الأخوة الإنسانية في الخلقة والانتساب إلى رب واحد وتمهد الأرضية لنشر مبادئ العطف والتسامح والمحبة القلبية التي تفوق مبدأ المداراة والتعايش السلمي. يقول النبي: أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم من آدم وآدم من تراب^(١).

إن النبي يعتبر مبدأ الإنسانية والإحسان إلى الآخرين هو المعيار لكسب الاحترام والتكريم الإلهي:

الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لهم^(٢).

إن الخلق كلهم عيال الله فلا فرق بينهم، فلا فضل لأحد على آخر، وإنّ أفضلهم وأقربهم إلى الله أنفعهم للناس.

٢. الدفاع عن الأقليات الدينية

لقد أوصى النبي مرارًا المسلمين بالسلوك الحسن ومراعاة الإنصاف في

(١) تحف العقول، ص ٢٩.

(٢) أصول الكافي ج ٢، ص ١٦٤.



التعامل مع غير المسلمين حيث يقول: من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فانا حججه يوم القيامة^(١).

٣. أذية الذمي كأذية النبي

«من أذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»^(٢).
هذه الرواية تثبت بأن النبي يعتبر إلحاق الأذى بالذمي كالخصومة معه ويؤكد بأنه سيقوم في القيامة للدفاع عن المظلوم حتى لو كان يهودياً.

٤. احترام جنازة اليهودي

كان النبي جالساً برفقة جماعة فمرّ عليهم جماعة يحملون جنازة يهودي فقام النبي احتراماً له، قال الجماعة: هذه جنازة يهودي قال: النبي عندما ترون جنازة قوموا احتراماً لها^(٣).

٥. الميثاق الأول حول حرية العقيدة

لقد أبرم الإسلام معاهدات سلام مع المعارضين والرافضين، وهو ما يشكل مفخرة للإسلام، حيث أبرم النبي في فترة حكمه معاهدات مختلفة مفادها أنّ الحكومة الإسلامية تأخذ الخراج من أهل الكتاب وفي المقابل تلتزم باحترام الحقوق السياسية والاجتماعية والأمنية للأقليات الدينية. أول تلك المعاهدات هي معاهدة سلام أبرمها مع يهود المدينة. يرى البروفسور «هوستون اسميت»^(٤) أنّ هذه المعاهدات هي أول ميثاق لحرية العقيدة في تاريخ البشرية. تتضمن هذه المعاهدة المتطورة بنوداً متقدمة على زمنها بعدة قرون.

(١) نقلاً عن سبحاني، جعفر مباني حكومت اسلامي، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ - انتشارات توحيد قم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، وراجع: صحيح البخاري ج ١.

(٤) هوستون اسميت: المذاهب الانسانية.

نشير هنا إلى مضمون المعاهدة التي أبرمها الرسول ﷺ مع نصارى
نجران، بموجب هذه المعاهدة:

يلتزم النبي أن يحافظ على أرواح أهل نجران وأموالهم وأراضيهم
وعقائدهم ومعابدهم من أي أذى وأن لا تتم إهانتهم ولا تحتل أراضيهم،
فما دام أنهم يلتزمون بهذا الميثاق فلا يصيبهم أي أذى^(١).



(١) نقلاً عن: سبحاني، جعفر: مباني حكومت اسلامي، ص ٥٢٩.



سيرة الإمام علي عليه السلام ومواقفه

تعطينا سيرة حياة الإمام دروساً لمواجهة المعارضين مع أنها شهدت تعرجات كثيرة وأنه واجه المعارضين بشتى أنواعهم سواء في فترة الإبعاد عن الحكم أو في فترة استلام مقاليد الحكم. إن أكبر وأهم تلك القواعد هي العمل بمبدأ يفيد أن هناك أهم وهناك مهم والتضحية تتم على أساس ذلك، حيث غض الإمام الطرف عن حقوقه فيما يتعلق بالخلافة ليصون الإسلام ويحفظه من أي أذى وأهم من هذا أنه قام بمساعدة الخلفاء بينما كان يُتوقع أنّ الإمام سيرفع علم المعارضة السياسية ضدّ جهاز الخلافة والإصرار على استرجاع حقّه، أو اعتزال السياسة ووضع العصي في عجلة الخلافة.

إن سيرة الإمام المستنيرة تعطي دروساً لمن يشكلون الأقلية في الدولة الإسلامية ويعتبرون أنفسهم أصحاب حق، وهي سيرة زاخرة بالتعاون وتقديم المساعدة للحكومة الدينية بشكل واضح وشفاف.

لو أردنا الخوض في قضية التساهل والمدارة التي كان يبيدها الإمام للمعارضين وأهل الكتاب فسوف يطول بنا الحديث. لكن سنكتفي بذكر عدة نقاط بصورة مقتضبة.

١. احترام كافة الناس وإظهار المحبة لهم

يأمر الإمام في جزء من أوامره التنفيذية مالك الاشر باحترام القانون



وحقوق الإنسان وتنفيذ العدالة ويوصيه بأن يحب الناس ويعاملهم بالعطف ولا يستثني أحداً كافراً كان أم مسلماً ويقول:

أشعر قلبك الرحمة والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكونن عليهم سبغاً ضارياً تغنم أكلهم فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق^(١).

٢. احترام الأقليات وقوانينهم

إن الاعتراف بحقوق الأديان الأخرى واحترامها يعتبر من مبادئ الإسلام القانونية. على سبيل المثال: إن الإسلام قد حرم الزواج من المحارم لكن لا يحق للمسلم أن يتهم الأديان الأخرى كالمجوسية بارتكابها الزنا استناداً إلى قوانين الشريعة الإسلامية. يظهر مبدأ احترام الأديان الأخرى في سيرة حياة أئمة الشيعة بوضوح ويطردون من لا يتحلى بالاحترام.

من الأمثلة البارزة التي تثبت احترام الأقليات الدينية قول الإمام علي عليه السلام:

لو تُبَيِّنَتْ لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم^(٢).

٣. الاهتمام بالأقليات

كانت مدينة الأنبار تتكون من المسلمين واليهود، وهي إحدى المدن التي كانت تخضع لحكم الإمام، فقام جيش معاوية بنهب المدينة وسرقوا مجوهرات امرأة يهودية. سمع الإمام بهذا الخبر فحزن كثيراً وقال:

(١) نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

(٢) الشيخ مفيد الارشاد، ترجمة وشرح سيد هاشم رسولي محلاتي، انتشارات علمية اسلامية، ج ١، ص ٣٠، لكن هناك خلاف في حكمه الفقهي.



لو مات الانسان كمداً وحسرة ما كان عندي ملوماً^(١).

٤. تخصيص رواتب لفقراء أهل الكتاب

رُوي أن الإمام التقى بشيخ كبير فسأل أصحابه عن ذلك الرجل، قالوا هو نصراني، فقال الإمام وهو غضبان:

انتم استفدتم منه في شبابه (أي أنه خدم هذه الأرض في شبابه كالأخرين) حتى وصل إلى هذا الحال، فهل من الصحيح أن تتركوه وشأنه؟! ثم أمر أن يدفَعوا له راتباً من بيت المال^(٢).

٥. توديع اليهودي

رافق يهودي الإمام في الطريق إلى الكوفة، ولَمَّا أصبحت على مقربة من الكوفة فصل اليهودي طريقه عن الإمام فتابعه الإمام، فسأل اليهودي الإمام: ألا تذهب إلى الكوفة؟ قال الإمام: نعم؛ قال اليهودي لماذا تتبعني؟ قال: كنت مرافقاً لي في السفر وأريد أن أودعك.

٦. التسامح والمداراة في مواجهة الخوارج

كان الخوارج من ضمن جيش الإمام في حرب صفين، وقد خرجوا على الإمام بعد قضية التحكيم وكونوا معسكراً آخر فكفروا الإمام لقبوله التحكيم وقاموا بالعمل ضد الإمام. على سبيل المثال: كانوا يحضرون المسجد ليعارضوا الإمام بصورة مكشوفة، بل تجاوزوا هذا الحد حيث

(١) نهج البلاغة فيض الإسلام خطبة ٩٥ ان الامام خميني المؤسس الاول للحكومة الاسلامية أكد مراراً على ضرورة احترام الاقليات في تصريحات أدلى بها والمقابلات قال مشيراً إلى ذلك الحادث ان هذه الاقلية المذهبية التي عندما سرقت مجوهرات امرأة يهودية قال الامام: لو مات الانسان كمداً وحسرة ما كان عندي ملوماً. صحيفه نور، ج ٣، ص ٨١.
(٢) وسائل الشيعة ج ١١، ص ٤٩، باب ١٩، أبواب جهاد العدو، حديث ١.

كانوا يهتفون بشعارات حادة أثناء الصلاة، وفي بعض الأحيان يشتمونه^(١). ومع هذا كان الإمام يعاملهم بالتسامح والمداراة ولا يواجههم بالعنف. ويدعو أصحابه إلى ضبط النفس والهدوء ويصلي على قتلاهم، وكان يسمح لهم بالحضور في المسجد مع أنهم يعملون ضده ويدفع لهم رواتبهم من بيت المال. كان دائم التأكيد على أصل المداراة ماداموا لم يرفعوا السلاح في وجه الحكومة الإسلامية «لانمنعكم مساجد الله إن تذكروا فيها اسمه لا نمنعكم من الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا لانقاتلكم حتى تبدوونا»^(٢).

عدم إقامة الصلاة في الكنيسة!

إن احترام حقوق الأقليات والعمل وفق مبدأ التسامح والمداراة كانا منهج الأئمة المعصومين وعدد من الخلفاء، ودليلنا هو رسالة الإمام السجاد عليه السلام في مجال الحقوق والمناظرات والحوارات التي دارت بين الأئمة والمعارضين.

جاء في الكتب التاريخية أن أحد الخلفاء، في صدر الإسلام، حضر في الكنيسة عند الصلاة. أراد الخليفة أن يصلي خارج الكنيسة، وعلل هذا الموقف بأني أخاف بعد إقامة الصلاة في الكنيسة أن يحتل المسلمون هذا المكان للتبرك لأني أقم الصلاة فيه^(٣).

(١) تنقل الكتب التاريخية أن ابن كوار، وهو من الخوارج، كان يقرأ هذه الآية عندما يصلي الامام* ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليجطن عملك وتكونن من الخاسرين* (الزمر ٦٥) وكان يقصد ان الامام اصبح مشركاً وكافراً واحبطت اعماله لقبوله التحكيم. ويجب الإمام «فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» (الروم ٦٠) والتي تفيد بان يحقق وعوده وان يا رسول الله لا تحزن من كلامهم الباطل.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤، ص ٥٣.

(٣) حسن الصفار: چند گونگی و آزادی در اسلام، ص ٦٩.



الزعم بأن التسامح ناتج من ضعف الإسلام

يرى بعض الفلاسفة الغربيين مثل جان هيك^(١) تعارضاً بين مبدأ التسامح، والرؤية الحصرية للدين، ويتبعه في ذلك عدد من المثقفين^(٢). إنهم يرون أنّ تلك الرؤية ناتجة من الضرورة وتحسين الصورة والترحم^(٣). كما يقبل المعتدلون منهم بوجود التسامح ويؤطرونه بعبارة إلى حد ما^(٤).

لست بصدد الإجابة عن مزاعمهم البعيدة عن الواقع، لكن أطلبهم أن ينظروا إلى الأسئلة التالية بعيون ثابتة: هل دعوة القرآن بالتعامل مع الكفار وأهل الكتاب بالإحسان هي مجرد تحسين الصورة؟ وهل عندما يدعي النبي بأنه يدافع عن حقوق الأقليات في يوم القيامة ويحترم جنازة اليهودي يهدف إلى تحقيق المصلحة فقط؟ هل وصية الإمام إلى مالك الاشتهر بمحبة كلّ إنسان كافراً كان أم مسلماً تدخل ضمن دائرة التظاهر؟ هل يصنف تعبير الإمام عن الأسف الشديد والقلبي عندما تم الاعتداء على امرأة يهودية مجرد تسويغات الحكام؟ كيف نفسّر توديع الإمام لليهودي؟ وأخيراً ألا تقتضي مبادئ السياسة والحكومة الدنيوية ان يتم القضاء على الخوارج وألاّ يسمح لهم بممارسة النشاط السياسي وأن تقطع رواتبهم، وعشرات الأسئلة التي تأتي في هذا المجال؟ كل هذه الأسئلة يتم إزالتها بدراسة الكتب الإلهية والأحاديث وسيرة النبي والأئمة.

اعترافات المفكرين الغربيين

نشير هنا إلى اعترافات عدد من المفكرين الغربيين في هذا السياق. يقول ويل دورانت إنّ الإسلام وخلال ٥ قرون كان زائداً في العالم

(١) الدكتور محمد لكنهاوزن: بلوراليسم، مجلة معرفت عدد ٢٢، ص ٢٠.

(٢) راجع مجلة كيان عدد ٢٨، ص ١٠.

(٣) سروش عبدالكريم، كيان عدد ٣٧، ص ٦١.

(٤) شبستري، مجتهد: كيان عدد ٢٨، ص ١١.

قدرة ونظماً وبسطاً للحكم ونزاهة في الأخلاق والسلوك وتحسيناً لمستوى المعيشة، لقد وضع القوانين الإنسانية العادلة والتسامح الديني ونشر الأدب والطب والفلسفة^(١).

ويقول في موقف آخر إن النبي كان يذم أتباع الدين المسيحي، إلا أنه كان يحسن الظنّ بهم، وكان يريد إقامة علاقات حسنة معهم. وحتى بعد المواجهة مع أتباع الدين اليهودي، اتخذ طريق المداراة مع أهل الكتاب^(٢).

يقول غوستاف لوبون المؤرخ الشهير:

لم يتقدم القرآن بقوة السيف لأن من عادات العرب أن يتركوا الحرية للناس بأن يؤمنوا بأي دين عندما يفتحون بلدًا ما.

أما السبب في أن النصارى كانوا يتركون دينهم ويعتنقون الإسلام ويختارون العربية لغة لهم فهو أن العرب كانوا يعاملونهم بالعدل، حيث لم يعاملهم حكامهم من قبل^(٣).

يقول رابرتسون: كان المسلمون وحدهم يمتلكون التسامح في التعامل مع الأديان الأخرى وذلك عائد إلى عقيدتهم الدينية الراسخة^(٤).

يرى ميشو: عندما فتح المسلمون بيت المقدس (في عهد الخليفة الثاني) لم يلحقوا بالنصارى الأذى. أمّا عندما فتح النصارى تلك المدينة حدث العكس حيث ارتكبوا مجازر بحق المسلمين، كذلك الحال مع اليهود حيث أحرقوا الجميع... علينا الاعتراف بأن الشعوب المسيحية

(١) ويل دورانت: تاريخ الحضارة

(٢) المصدر نفسه.

(٣) غوستاف لوبون: تمدن اسلام وعرب، ترجمه سيد هاشم حسيني، ج ١، صص ١٤١ -

١٤٦، كتابفروشي اسلامية.

(٤) المصدر نفسه.



تعلمت السلام والاحترام المتبادل من المسلمين، سلام يدل على الرحمة والمروءة والإنسانية^(١).

يذهب هنري دي كاستري الكاتب الفرنسي إلى أنّ اليهود بقوا على الأرض بفضل مدارة الدول الإسلامية معهم:

بقى اليهود على الأرض بفضل الدول الإسلامية حيث أنقذتهم من أيادي النصارى المتعطشين للدماء في القرون الوسطى فلو كان للنصارى القدرة وحكموا العالم لكانوا قضوا على اليهود^(٢).

يقول آدام متز: يبدو أنّ الكنيسة والصومعة تعيشان خارج الحكومة الإسلامية، ويبدو أنهم كانوا جزءاً من أراضٍ أخرى وهذا ما يؤدي إلى خلق مناخ من التسامح لم تعرفه أوروبا في العصور الوسطى^(٣).

إنّ هذه الاعترافات كثيرة لا يتسع لنا المجال للإتيان بها جميعاً، فنكتفي بهذا القدر ندعو القارئ الباحث إلى دراسة الكتب التاريخية.



(١) نفس المصدر.

(٢) اسلام وحقوق طبيعي انسان، ص ٤٩. يذكر أن الكنيسة تعتبر اليهود قتلة المسيح وتلعنهم في مراسم العشاء الرباني بصفتهم خونة ثم الغيت هذه المراسم عام ١٩٦٠ بوساطة المجلس الفاتيكاني الثاني.

(٣) حسن الصفار: چند گونگي و آزادي در اسلام، ترجمه حميد رضا آزيير، ص ٦٨، نشر بقيق.

الفصل الثالث

التوهم بدلالة
القرآن على التعددية

/

.

"

--

..

..

.



اتضح في الفصل الأول أنّ القرآن الكريم يبطل التعددية الدينية في الكثير من الآيات وتحت عناوين مختلفة، ويدرك القارئ العادل، وبتأمله في مجمل الآيات، أنّ القرآن يعارض التعددية الدينية. بيد أنّ في القرآن آيات تتحدث عن كثرة الشرائع وتصديق إيمان أهل الكتاب وتصفهم بالصالحين وتعددهم بالثواب وتفي عذابهم.

لقد تجاهل أنصار التعددية، عن وعي أو جهل، الآيات التي تبطل التعددية بصراحة - تحدثنا عنها فيما سبق - بهدف خلع المشروعية القرآنية على نظرياتهم، وقاموا بتفسيرها خدمة لمزاعمهم، وقد ارتكبوا أخطاءً فادحة، ذلك لأنهم تجاهلوا مبادئ وأساليب تفسير القرآن. نشير إلى بعضها^(١):

١. الاهتمام بالفحوى وأسباب النزول وبداية الآيات ونهايتها.

يعتمد دعاة التعددية، في تفاسيرهم، على الدلالة الظاهرية للآية، ويستندون إلى جزء من الآية، في بعض الأحيان، ولا يأخذون بعين الاعتبار الآية السابقة أو اللاحقة.

(١) للمزيد راجع مطهري، مرتضى: أشباهي باقرآن، ج ١، ص ٣ - ٤٣، وجوادى املي: تفسير موضوعي، ج ١، مقدمة ودرس اول ودوم.



٢. الاهتمام بكل القرآن

بما أن القرآن هو كتاب سماوي أنزله الله تعالى،^(١) ورغم أنه أنزل بصورة تدريجية طوال ٢٣ عاماً إلا أنه يتمتع بنظم خاص، أو كما يقول القرآن لا تجد فيه تعارضاً أو تهافتاً^(٢).

لهذا يتوجب علينا الاهتمام بكل الآيات القرآنية (وعدها يزيد على ٦ آلاف) من حيث الآيات الخاصة والمطلقة والمقيدة والنسخ و... عندما تلتبس آية عندنا علينا أن نراجع الآيات الأخرى لإزالة هذا الالتباس. بعبارة أخرى: علينا أن نبحث عن تفسير القرآن في القرآن نفسه لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

على سبيل المثال: إن القرآن لم يحرم الخمر في البداية، بل تحدث عن تعارضه مع الرزق الذي يأتي بطرق حسنة^(٣)، ثم أكد على أن إثمه يفوق منافعه^(٤)، وفي الخطوة الثالثة حرمه عند الصلاة، وفي المرحلة الأخيرة أصدر حكمه المطلق بتحريمه^(٥).

٣. الاهتمام بشارحي القرآن الحقيقيين

الأصل الثالث يفيد أنه لو حصل التباس عند تفسير آية ما، علينا أن نراجع تفسير الشارحين والمفسرين الحقيقيين لكلام الله، أي الروايات العلوية لأن القرآن يشتمل على الآيات المتشابهة وله، بطون وتوجهات مختلفة^(٦) والقرآن يؤكد أن الوصول إلى عمق وفحوى تلك الآيات يتم بوساطة المطهرين ومصداقهم الأئمة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٧).

(١) ﴿كُنْتُ أَنزَلْتُ مِنْ سَمَوَاتٍ مِّنْ لَّدُنِّي حَبِيرًا حَبِيرًا﴾ (هود: ١).

(٢) ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٢٨).

(٣) النحل: ٦٧.

(٤) البقرة: ٢١٩.

(٥) المائدة: ٩٠.

(٦) آل عمران: ٧.

(٧) الواقعة: ٧٨.



رأينا فيما مضى أن دعاة التعددية حاولوا أن يدخلوا نظريتهم في ساحة الشريعة لتقديم أدلة وشواهد، واستندوا إلى بعض الآيات في الخطوة الأولى. صحيح أنهم استندوا إلى الدين لكنهم لم يلتزموا بمبادئ البحث سيّما في تفسير القرآن حيث أنهم لم يشاهدوا أو تجاهلوا أصول وأساليب الموضوعات الهرموطيقية والتفسيرية - أشرنا إليها ، في هذا الفصل سنضع أدلتهم تحت مجهر التحليل ثم نخضعها للنقد.

الدليل الأول: التسليم المطلق أمام الله

إنّ جوهر ومغزى نظرية التسليم، عند أنصار التعددية، هما أنّ حقيقة الدين والإسلام هي أنّ الله يطالب الإنسان الإيمان بالعدالة والتسليم والخضوع لله، ولا يحدث تغييراً في فحوى التسليم سواء تجلّى في الإسلام أو اليهودية أو المسيحية.

يذهب دعاة التعددية إلى أن للإسلام معنىّ عامّاً من منظور القرآن، وهو يعني التسليم المطلق أمام الله، ويشمل كافة الأديان سيّما أديان أهل الكتاب. إنّ ضرورة تحقيق هذه النظرية هي أن تكون مسلماً لا يستلزم أن تكون ضمن أمة الإسلام، بل هذه القاعدة تشمل أتباع الأديان الأخرى، واستشهدوا بهذه الآيات.

إنّ إبراهيم عليه السلام طلب الإسلام الحقيقي لأمة وذريته، وأن تكون أمة مسلمة.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾^(١).

وموسى عليه السلام يصف قومه بالمسلمين:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمٌ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾^(٢).

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) يونس: ٨٤.



قبل عقود كتب المهندس مهدي بازركان، في إشارة إلى تلك الآيات قائلاً: إن القرآن يصف الأتباع الصالحين للأنبياء بالمسلمين، تكراراً، على عكس ما ندعي بأننا نحن المسلمون فقط، فكيف يعتبر الله آخر الأديان ديناً بينما يؤيد كافة الأنبياء وكتبهم ويقدها^(١) ١٩

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢).

تعد تلك الآية دليلاً واضحاً على رفض التعددية، لكن عدداً من أنصار التعددية من يريدون أن يأتوا بالكثير من الأدلة القرآنية لإثبات ادعائهم قدموا تفاسير مؤيدة لنظريتهم واعتبروا الإسلام هو التسليم المطلق، أو على حد قولهم، كما يقال، الإسلام الحقيقي كما يكتب الدكتور سروش: لو نظرتم إلى تفسير الميزان ستشاهدون أنه يفسر الإسلام بمعنى الإسلام الحقيقي الذي تحدثت عنه ويؤكد أن القصد هو حقيقة التسليم أمام الله^(٣) ثم يأتي بحديث للإمام علي عليه السلام ليؤيد تفسيره للإسلام وهو التسليم^(٤). وستحدث بعدئذ حول صحة انتساب هذا الرأي إلى العلامة طباطبائي، أو خطاه.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٥).

فسر البعض أن الإسلام في تلك الآية والآية التي سبقتها، هو التسليم المطلق، وحاول أن يستنتج أحقية كافة الأديان. يكتب خرمشاهي في هذا المجال، مشيراً إلى التفسير الذي قدمه بعض المفسرين بأن الإسلام هو التسليم المطلق:

(١) بازركان مهدي: دين وتمدن، ص ٥٢. يذكر أنه يستشهد بالآيات التالية لإثبات ادعائه سورة الذاريات ٢٦ وسورة يونس ٧٢ وآل عمران ١٤٥ والنحل ٤٥ وراجع قرآن ومسيحيان.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) سروش عبدالكريم، فريه تراز ايدنولوزي، ص ٣٣٦. يذكر أن تفسير العلامة لكلمة الإسلام هو في ذيل آية ١٩ سورة البقرة.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

(٥) آل عمران: ١٩.



يعتبر الكثير من المفسرين أنّ الإسلام ليس الإسلام الذي أتى به النبي محمد ﷺ بل هو الإسلام الإبراهيمي أي التوحيد والتسليم أمام الله. منهم الشيخ الطوسي والزمخشري والطبرسي في جوامع الجامع، والبيضاوي ومن المعاصرين جمال الدين ألقاسمي ومحمد جواد مغنية^(١).

نقد ورأي

هناك عدة نقاط تلفت النظر، عند تقييمنا لدليل أنصار التعددية الأنف الذكر:

١. رؤيتهم الحصرية في تفسير الإسلام

لا يوجد أدنى شك بأن الإسلام يعني لغويًا التسليم والخضوع، غير أنّ النقطة الرئيسة هي التركيز على معناه القرآني، فالتأمل في الآيات التي ورد فيها الإسلام والكلمات المرادفة له، يؤدي إلى استنتاج ثلاثة معانٍ:

(أ) المعنى التكويني:

المعنى الأول للإسلام في القرآن هو التسليم بمعنى الانقياد والانصياع الجبري والتكويني للموجودات للأوامر الإلهية:

﴿وَلَهُ اسْتَلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢)

إنّ إسلام من في السموات والأرض يعني الانصياع والإطاعة التكوينية من للأوامر الإلهية، والدليل هو قيد «كرهاً»؛ لأنّ التسليم بالجبر والكره يعارض معنى الخضوع.

(١) خرمشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي ص ٥٤٢ وسروش عبدالكريم؛ صراطهاي مستقيم، ص ٣٢، تقي سيد محمد: صحيفة همشهري، ص ٩.

(٢) آل عمران: ٨٣.



ب) التسليم والخضوع أمام الله

هناك آيات كثيرة تستخدم الإسلام والكلمات المرادفة له بمعنى التسليم والخضوع أمام الله، وهذا ما يشكل جوهر الأديان السماوية. أما عندما يستخدم الأنبياء قبل النبي محمد ﷺ لفظة الإسلام فكانوا يقصدون الخضوع والتسليم أمام الخالق.

ج) دين الإسلام الخاص

إنّ القصد من الإسلام الوارد في عدة آيات ليس الأديان السماوية والتسليم أمام الله، بل القصد هو شريعة النبي محمد ﷺ.

﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)

نزلت هذه الآية في غدير خم، عندما عين النبي خليفته، فإنّ الآية تعتبر دين النبي محمد ﷺ دين الإسلام.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَيْمَانَ مَا أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ افْتَدَوْا﴾^(٢)

هذه الآية تخاطب اليهود والنصارى (الذين يعترف أنصار التعددية بأنهم أصحاب الإسلام الحقيقي) والمشركين وتقول أسلموا حتى تفتح أبواب الهداية لكم. من الواضح أنّ الإسلام في هذه الآية لا يعني التسليم إلى الله فحسب لأنهم مسلمون كما يدعون ويشاطرهم الرأي أنصار التعددية، بل القصد هو اعتناق دين الإسلام. أضف إلى هذا، هناك العشرات من الآيات تقصد الشريعة الإسلامية عندما تستخدم الإسلام.

إنّ كثرة معاني الإسلام واختلافها في القرآن لها دلالة واضحة وهي ينبغي ان لا نكون أصحاب النظرة الحصرية في تفسيره وفق الأصول والقواعد اللغوية والتفسيرية، وبالتالي نفسر ونستخدم الإسلام في كافة

(١) المائدة: ٣.

(٢) آل عمران: ٢٠.

الموارد بمعني التسليم المحض أو دين خاص، بل علينا أن ندقق في معنى بداية الآية ونهايتها والقرائن الأخرى لكن مع الأسف يتم تجاهل هذه النقطة. ويتجه أنصار التعددية نحو الحصر ويكتفون بالاستناد إلى جزء من الآية أو آية ما، دون الأخذ بالآيات السابقة والقرائن الأخرى. وبدورنا سنتطرق إليها لاحقاً.

٢. إنَّ إسلام الأمم السالفة يوافق وحدة الصراط المستقيم

عندما يعتبر القرآن الأمم السابقة مسلمة ولعدة مرات، فهذا يعني أنهم كانوا على حق في زمنهم، أي أنّ جوهر الدين هو التسليم والخضوع أمام الله يتجلى في الأمم السابقة بتصديقهم الأنبياء فإنَّ للدين حقيقة واحدة من هذا المنظور^(١).

بناءً على ما تقدّم لا توجد أدنى ريبة في أن القرآن يعتبر الأمم الغابرة على دين الإسلام، لكن المهمّ هو بقاء واستمرارية أحقيتها عند ظهور الإسلام. إنّ الآيات التي يتمسك بها بازركان لا تثبت هذا الادعاء. فضلاً عن هذا فإنَّ الآيات التي وردت في الفصل السابق تثبت خلاف هذا. أمّا أنّ القرآن يثني على أهل الكتاب بعد ظهور الإسلام، ويعتبرهم أصحاب حق فترك هذا البحث إلى الصفحات القادمة.

٣. كلمة «الإسلام» المعرّفة بـ«أل» التعريف

إنَّ آية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ التي يستند إليها الدكتور سروش لإثبات التعددية، تدلُّ على خلاف ذلك؛ لأنها كما أسلفنا، تدل بوضوح على إبطال التعددية لأنَّ «أل» في الإسلام هي «أل» التعريف وتُفيد بأنَّ الإسلام هو دين الإسلام ثم نستنتج من ظاهر الآية أنّ الإسلام ليس التسليم



المطلق، بل هو دين خاص يتمثل في شريعة النبي محمد ﷺ التي تُعرف بالإسلام وأنّ سياق الآية يدل على الحصر^(١).

إنّ الدكتور سروش يعتبر عبارة صراط مستقيم دليلاً على كثرة الطرق المستقيمة لأنها ذكرت بدون «أل» التعريف لكن في الآيات القرآنية السابقة التي يتجلى فيها الإسلام بدين خاص وذكر «أل» يدعم المعنى الظاهري لتلك الآية، فإنه لا يأخذ بعين الاعتبار «أل» التعريف عن قصد أو جهل، بينما يتمسك بعدم ذكر أل في صراط مستقيم لإثبات ادعائه.

٤. عدم أخذ الآيات السابقة بنظر الاعتبار

عند إقائنا نظرة عابرة على الآيات السابقة يظهر ادعاؤنا بحصر الإسلام في الآية بدين محمد ﷺ. فإنها تتحدث عن اخذ الله ميثاق الأمم الغابرة بأن يتبعوا الأنبياء اللاحقين، ومنهم النبي محمد ﷺ فهناك يوجه اللوم لأهل الكتاب بعبارات حادة لرفضهم نبوة محمد ﷺ^(٢) ويصفهم بالفاسقين. وفي ضوء سياق الآيات وانسجامها مع بعضها يصبح من الضروري أن يتمثل الإسلام في شريعة محمد ﷺ لأنه لو فُسر الإسلام في الآية بمفهومه العام وشمل الأديان الأخرى، لحصل تناقض مع الآيات الأخرى «وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً».

٥. عدم أخذ الآيات اللاحقة بنظر الاعتبار

إنّ أنصار التعددية عندما قاموا باختيار جزء من الآية وحذفوا العبارات

(١) يقول الاستاذ جعفري حول هذه الآية إن الدين عند الله الإسلام ولا يقول إسلام بشكل نكرة حتى يفيد الحصر فإن للإسلام معنى خاصاً يتجلى في دين محمد، مجله نقد ونظر، عدد ٣ - ٤، ص ٣٢٧.

(٢) ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • أَلَمْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ يَسْمَعُونَ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ وَكَرِهُوا وَإِلَيْهِ يَعْتَمِدُونَ • قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ وَبِأَقْوَمِ سَبِيلٍ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّيهِمْ لَنْ نَسْتَكْبِرَ وَنَسْتَكْبِرُوا وَاللَّاسِبِلُ وَمَا أُولَئِكَ مِنْ رَبِّهِمْ وَإِلَيْهِمْ لَنْ يُؤْتُوا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَتَعْنَى كُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

التي تليها، وتجاهلوا الآيات اللاحقة^(١) حرّفوا كلام الله؛ ذلك لأن الآيات السابقة تويّج أهل الكتاب كسابقاتها، وتؤكد أن عدم طاعتهم للإسلام ناتج من جهلهم وعدائهم وظلمهم، فلهذا نجد القرآن يصفهم بالكفار ويعتبرهم يستحقون الجزاء، ويؤكد أنّ طريق هدايتهم الوحيد هو قبول شريعة الإسلام.

عبارة ثانية: حتى لو أنت بداية الآية مطلقة لتدل على الإسلام بصورة مطلقة، لكن الموضوعات التي تطرح في الآيات اللاحقة وبالذات تكرار لفظة الإسلام مثل ﴿فَإِنْ أَسَلِمُوا فَقَدْ أَمْتَكَدُوا﴾ تفسر بداية الآية وتحصرها في نفس الوقت؛ فهي تريد أن تقول أنّ الدين الذي هو عبارة عن التسليم المطلق، يظهر ويتجلى في كل عصر وزمان، وقد تجلّى في عصر النبي بالإيمان والتسليم بشريعة محمد ﷺ.

الدكتور سروش يستند إلى حديث الإمام علي عليه السلام بأنّ الإسلام هو التسليم، فأقول إنّ الإمام ومن خلال ذلك الحديث أراد التعبير عن حقيقة وجوه الإسلام الذي يشكل جوهر الأديان، ألا وهو التسليم المطلق أمام الله، كما أنّ الإيمان بالأنبياء في مختلف العصور يعد ضرورة لتحقيق ذلك. إنه يحاول تفسير الإسلام بوساطة ما يشكل ضرورة له، وهذا يعني أنّ الإسلام يقتضي أن يخضع الإنسان لله ويسلم نفسه له. أما أن نقول بأنّ الإمام في ذلك الحديث أراد أن يعمم الإسلام على الأديان كلها ويجعلها في موازاة الإسلام حتى يكون لها أحقية، فإنّ هذا يخالف ظاهر الحديث. هناك أدلة أخرى تؤيد أن الإسلام هو الدين الكامل والناسخ في منظور الإمام علي عليه السلام. أشرنا فيما سبق إلى بعض من تلك الروايات حيث اعتبر

(١) ﴿إِنَّ الْوَيْبَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا أَخْلَفَ الْوَيْبَ أَوْفُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَدَى مَا جَاءَهُمْ الْوَيْبُ بَدَىٰ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُ سَمِيعُ الْإِسَابِ • فَإِنْ جَاهِدْ فَقُلْ أَنْتُمْ تَجَاهِدُونَ وَمَنْ أَتَّبَعْتُمْ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَيْمَانَ مَا مَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلِمُوا فَقَدْ أَمْتَكَدُوا وَإِنْ قَوْلًا فَدَلَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْوَاجِدِ﴾.



الإمام الإسلام بأنه دين الله المختار الذي غلب وأذل الأديان الأخرى، وتلك الروايات تعارض تفسير أنصار التعددية لذلك الحديث^(١). إلا إذا افترضنا - والعياذ بالله - بأن فكر الإمام كان يتطور في مراحل مختلفة وكان معرضاً للخطأ وخاضعاً لآليات المعرفة البشرية.

٦. تحريف رأي المفسرين

قام دعاة التعددية بتحريف أقوال المفسرين الكبار بغية دعم أدلتهم وخلع الطابع الديني والتفسيري على نظرياتهم المستندة إلى القرآن، فحاولوا، عبر نقلهم أجزاء من عبارات المفسرين في تفسير الإسلام، التأكيد بأن الإسلام هو التسليم المحض ليظهروا أنهم (أي المفسرين) كذلك يؤيدون أحقية الأديان الأخرى، وذلك من خلال تعميم مفهوم التسليم المطلق للإسلام.

الخطأ يكمن في أنهم لم يفهموا فحوى كلام المفسرين عن عمد أو غير عمد. وكما قلنا، عند تعريفنا للدين والشريعة، إنَّ الدين ليس إلا واحداً وهو التسليم والخضوع أمام الله، وإنَّ المفسرين يقولون بأن جوهر الإسلام هو التسليم، وهذا ما كانت الأديان الإبراهيمية عليه، لكنهم يؤكدون بعد تعريفهم الدين بأن التسليم يظهر في أقنعة مختلفة حسب الزمان. فمن هنا تصبح حقيقة التسليم في عصر النبي اعتناق الإسلام، ومن يخرج عن دائرة الإسلام سواء كان من أهل الكتاب أم لا، فليس على الإسلام الحقيقي؛ لهذا السبب يعتبر المفسرون أهل الكتاب بأنهم كفار يستحقون العذاب الإلهي.

أما الآن فسأتيتي بنصوص من المفسرين بهدف إثبات قولنا والابتعاد عن الكلام في العموميات.



الشيخ الطوسي (م ٥٤٦٠هـ):

يذهب، كسائر المفسرين، إلى أنّ حقيقة الدين وجوهره هما حقيقة واحدة متمثلة في التسليم المطلق، كما يعتبر الإسلام الحقيقي بأنه التسليم المحض أمام الله لكنه يضيف أنّ طريق الحصول على حقيقة الإسلام في عصر النبي يمر عبر الإيمان بالنبي. بعبارة أخرى: لا يتحقق الإسلام الحقيقي والإسلام الإبراهيمي إلا عندما ينتهي بالإسلام المحمدي. «الإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي»^(١).

كما يؤكد عند تفسير الآيات الأخرى بان الهداية معناها اهدوا إلى طريق الحق^(٢) وان تولوا معناه كفروا ولم يقبلوا واعرضوا عنه^(٣).

العلامة الزمخشري:

يذهب إلى أنّ لفظة الإسلام التي ذكرت في الآية، تعني العدل والتوحيد نظراً إلى الآيات السابقة^(٤).

وينتقل إلى نقد وجهة نظر الأشاعرة القائلة بالجبر وإمكان رؤية الله وإنكار عدالة الله مستنداً إلى تلك الآية ثم يطعن في أحقية إسلام أهل الكتاب معللاً رأيه بأنهم يعتقدون بالهين أو ثلاثة.

يرى الزمخشري أن أهل الكتاب بعيدون عن الإسلام الحقيقي وصراط الهداية في ضوء تلك الآية والآيات الأخرى ويؤكد أنّ رفضهم الإسلام ناتج من جهم للرياسة بينما «لا شبهة في الإسلام»^(٥).

(١) الشيخ الطوسي: تفسير التبيان ج ٢، ص ٤١٨، مكتبة الأمين، النجف، ١٣٦٧هـ.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(٤) الزمخشري جارالله: تفسير الكشاف، ج ١، ص ٣٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.



الشيخ الطبرسي (م ٥٤٨ هـ):

يشاطر الشيخ الطوسي الرأي بأن ضرورة تحقيق الإسلام الحقيقي هي الالتزام بالإسلام المحمدي، وذلك في تفسيره «مجمع البيان»^(١). ويطلق على رافضي الإسلام الكفار^(٢).

إنه يبحث هذا الموضوع في تفسير جوامع الجامع، كما يفعل الزمخشري، ثم يكفر أهل الكتاب لعدم تصديقهم نبوة الإسلام. وعند تفسير الآية الـ ٢٠ من نفس السورة يقول بما معناه، إن دين الإسلام هو الدين الوحيد والأصلي الذي يلزم جميع المكلفين الإقرار به^(٣).

البيضاوي (م ٧٩١ هـ):

بدايةً يفسر الإسلام ويقول إنه التسليم، ثم يقول بصريح العبارة إنه لا دين مرضى عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتدريج بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ^(٤). أما في تفسيره الآية الـ ٤١ من سورة البقرة ﴿وَأَيُّونَآ يَمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ فينقل حديثاً مفاده ضرورة اتباع موسى شريعة محمد ﷺ لو بقي حياً ويقول: إنهما لا يتعارضان لأن البشارة بظهور الإسلام وضرورة إتباعه تُعد من تعاليم شريعة موسى^(٥). لهذا يرى أن الآيات التي تدل على عالمية شريعة موسى أو أفضليته على العالمين كـ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْآخَرِينَ﴾ لا تتجاوز زمنًا محددًا^(٦).

(١) تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٢٠، المكتبة الإسلامية، طهران.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

(٣) جوامع الجامع، ج ١، ص ١٦٤، با مقدمه دكتور گرجي، مركز مديريت حوزة علمية قم.

(٤) تفسير البيضاوي ج ١، ص ٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٠.

رأي محمد جمال الدين القاسمي (م ١٣٣٢ هـ):

إنه يقول إن الإسلام هو التوحيد، وذلك عند تفسيره الآية الـ ١٩ من سورة آل عمران لكن ليس التوحيد المطلق بمعنى أنه يشمل الأديان الأخرى بل يقيد بالخضوع والتدرع بشريعة الإسلام^(١).

كما يؤكد على أنّ ظهور الإسلام كان قد وعد في الأديان السابقة بأنّ الهداية عند أهل الكتاب لا تتحقق إلا بقبول الإسلام وذلك عند تفسير الآيات الأخرى.

محمد جواد مغنية (١٩٧٩ م):

يشاطر أغلبية المفسرين الرأي بأن الإسلام هو التسليم المطلق؛ ولهذا يعتبر أنّ الأمم السابقة كانوا على الإسلام الحقيقي، لكنه يؤكد أنّ حقيقة الإسلام الإبراهيمي تتجلى في أتباع الإسلام المحمدي، ويقول، عند تفسيره، فإن أسلموا فقد اهتدوا: «لا شيء وراء الإسلام إلا الكفر والضلال»^(٢).

العلامة الطباطبائي:

سبق لنا وقلنا إنّ الدكتور سروش وآخرين^(٣) يحاولون أن يفسروا الإسلام بأنه التسليم المطلق، حتى يضعوا أتباع الأديان الأخرى ضمن المسلمين الذين بلغوا جوهر الدين، وبالتالي هم أيضا يسرون على الصراط المستقيم. ويستند إلى تعريف العلامة الطباطبائي ليدعم رأيه وتفسيره.

لو تأملنا ملياً في كتابه «الميزان» وكتب العلامة الأخرى، يظهر خطأ

(١) محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج٤، ص٨١١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.

(٢) التفسير الكاشف ج٢، ص٣٠، دارالعلم للملإين، بيروت، ١٩٦٨م.

(٣) سيد محمد ثقفى، صحيفة همشهري ١٣٧٩/٢/٢١، ص٩.



رأيه. لنوضح الأمر ونقول بأن العلامة يعرف الإسلام عند تفسيره أنّ الدين عند الله الإسلام، بانه التسليم المطلق الذي يشكل جوهر الأديان الإلهية. لكنه يؤكد أنّ ذلك التفسير لا يتحقق إلا بقبول الإسلام المحمدي، ولهذا لا يعمم التفسير القائل بأن الإسلام هو التسليم المطلق كي يشمل أهل الكتاب؛ لأنهم كانوا عالمين بذلك واتخذوا الطغيان وكفروا بالآيات^(١).

ثم يقول: والآية تشتمل على تهديد أهل الكتاب بما يُستدل عليه بالبغي وهو الانتقام^(٢).

وفي ختام بحثه يحاول أن يرّد على التفسير الخاطئ أعلاه ويذكر أنّ ما ذكره بعض المفسرين من أنّ في الآية دليلاً على حرية الاعتقاد في أمر الدين، وأنّ لا إكراه فيه، ليس بوجيه؛ فالآية كما عرفت، مسوقة غير ذلك^(٣).

قد نجد شواهد وأدلة في الصفحات السابقة واللاحقة، ولكن نكتفي هنا بنقد العلامة لرأي هنري كربن الذي يقول بأنّ لكل الأديان أحقية وأنها كانت تتبع حقيقة واحدة وحية، وهي جميعها تشترك في إثبات هذه الحقيقة.

فيرد عليه العلامة قائلاً: إن الإسلام يطلق كلمة المستضعفين على من لا يعرفون العقائد الحقّة والأحكام الدينية أو قيل لهم لكن لم يستوعبوا فإنه يعاملهم بمتهى المداراة وإنه لا يتساهل مع من رفضوا الحق بعد ما تبين لهم وعرفوا الأحكام الدينية^(٤).

(١) أما اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في الدين مع نزول الكتاب الالهي عليهم وبيانه تعالى لما هو عنده دين وهو الإسلام له، فلم يكن عن جهل منهم بحقيقة الأمر وكون الدين واحداً بل كانوا عالمين بذلك وإنما حملهم على ذلك بغيهم وظلمهم من غير عذر، وذلك كفر منهم بآيات الله. الميزان ج٣، ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الميزان، ج٣، ص ١٢٣، وراجع: ج٣، ص ٣٣٤.

(٤) ظهور الشيعة، ص ٨ - ٩.



لنوضح أكثر قائلين إنّ المفسرين أعلاه دافعوا عن أصل النسخ بمعنى أنّ قبول النسخ يعني رفض بقاء الأديان على أحقيتها. النتيجة أنّ دعاء التعددية قاموا بتحريف رأي المفسرين بالاستناد إلى تعريفهم للإسلام بالتسليم المطلق وتجاهل هدف المفسرين من هذا التعريف، وهذا ما يعارض مبادئ المناهج العلمية وبالذات الموضوعات القرآنية والتفسيرية. إذا لم يجد صاحب نظرية علماء يؤيدون رأيه فهل هناك من ضرورة لأنّ يحرف كلامهم لكي يوافق رأيه؟

الدليل الثاني: تعدّد الأديان؛ اقتضاء إرادة الله

إنّ الدليل الثاني الذي يتشبه به أنصار التعددية هو نسبتهم تعدّد الأديان والصراط إلى إرادة الله. بعبارة أخرى، بما أنّ للناس معنويات مختلفة وأنهم يعيشون في مختلف الأزمنة والأمكنة فهذا يفضي إلى اختلاف الطرق التي تصلهم بالرب. بناءً على هذا فإنّ الله أرسل أنبياء وأدياناً عديدة لهداية الناس. كتب أحدهم يقول:

الله هو أول من زرع بذور التعددية في العالم بإرساله مختلف الأنبياء وقد أوحى إلى كل منهم وأرسله إلى الجميع وجعل على ذهنه ولغته تفسيراً وأوقد نار التعددية^(١).

أما الآيات التي استندوا إليها لإثبات رأيهم فهي:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَسْتَلُوكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٢)

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾^(٣)

(١) سروش؛ عبدالكريم: الطرق المستقيمة.

(٢) المائدة: ٥.

(٣) الشورى: ٨.



﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ تَخْلِيفًا﴾ * إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَةٌ فَاسْتَخِيفُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ﴿٢﴾

يقول أحد الباحثين: يبدو أنّ للتعددية معنى أكثر عمقاً مما يطرح في الساحة، بعبارة أدق إن لكل قوم طريقاً للتقرب إلى الله وعلى الجميع أن يتسابقوا في الخيرات عبر الطريق الذي يجدونه أمامهم، هذا هو امر الله ^(٣).

ثم يستند الكاتب نفسه إلى الآيات ٤٨ من سورة البقرة و٤٨ من سورة المائدة: ويقول إنهما تدلان على أن الله أراد أن يرسل الأنبياء لأنه ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لكن مرور الأزمنة اقتضى ان تتحقق التعددية ^(٤) وما نواجهه من تعددية حالياً هو في الحقيقة عبارة عن طرق مختلفة وضعها الله لتنتهي بنا إليه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هذا يعني أننا لسنا أمة واحدة بل نحن على أشكال مختلفة ثم يأمر ﴿فَاسْتَخِيفُوا الْخَيْرَاتِ﴾ لأنّ هذه الطريقة جاءت من عند الله كلها على أحقية كاملة، وبوسعها أن تأخذ بيد السائر عليها إلى أعلى درجة يمكن سبر أغوارها، وكما يقول العرفاء: فناء في الله بقاء بالله ^(٥).

كتب السيد بهاء الدين خرمشاهي في معرض إجابته عن النقد الذي وجهته إليه:

بما أن الخالق يعرف فطرة وطبيعة وحياة الإنسان الجماعية والاجتماعية، والإنسان بطبيعته يميل إلى الجمع والجماعة والتجمع وفي نفس الوقت له نزعة نحو التفرق والتشعب، لهذا يقول القرآن ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

(١) هود: ١١٨ - ١١٩.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) الدكتور محمود بينا السماوات السبع عدد ١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

لَجَمَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿ (هود الآيات ١١ و١١٨) لكنهم يختلفون، فيقول من زاوية سيكولوجية معمقة ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١).

نقد ورأي:

المشكلة الرئيسية في استناد أنصار التعددية إلى الأديان السالفة الذكر هي عدم الاكتراث بالمضامين والآيات السابقة واللاحقة. أمّا الآن فنتطرق إلى الآيات الآتية الذكر.

تفسير الآية ال ٤٨ من سورة المائدة

قدّم العلماء والمفسرون المتقدمون في صدر الإسلام وطيلة ١٤ قرناً تفاسير وقراءات عديدة لهذه الآية؛ القاسم المشترك بينهم عدم دلالة الآية على تأييد الأدب الأخرى وهذا ما سنشير إليها بعدئذ.

١. التفاسير المختلفة والمعتمدة

أ) إرادة الله

إنّ الآية تقصد أنّ القرآن يقول: لو أراد الله لألزم الناس جميعاً (وهو قادر على ذلك) بقدرته التي لاتزول ولو بالإكراه، على انقياد الناس للدين الحق، لكن إرادة الله لا تقتضي إكراه الناس على الإيمان؛ بل على العكس إن إرادة الله قضت أن يكون للناس الحرية في اختيار الدين الحق لكي يستحقوا باختيارهم الدين الصحيح ان يكونوا عباد الله وينالوا الثواب الإلهي، فمنحُ الحرية لا يعني الاعتراف بالأديان الأخرى وعدم معاقبة المخطئين، نجد مثل هذا التعبير في الآيات الأخرى:

(١) الروم ٣٢ كتب هذه المقالة في: قران والهيأت جهاني عدد١٧، ص١٧٢ - ١٧٣ و١٧٦. وقرآن پژوهي، مقال همسنخي بين اسلام واهل كتاب. راجع دراسة قرآنية مقالة المقارنة بين الإسلام وأهل الكتاب.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.
 ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾.
 ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾.

إن الله يريد هداية الإنسان لكنه لا يريد أن تتحقق الهداية بالإجبار والقوة بل إرادة الله قضت أن يتم هذا بالاختيار، كما يعد الرافضين بالعذاب.

أما أن يستندوا إلى هذه النقطة في الآية وانه لو أراد الله أن يجعل الناس أمة واحدة أي على دين واحد كان لديه القدرة لتحقيق هذا، لكنه لم يعمل فيستنبطون أن تعدد الأديان هو إرادة إلهية.

أقول في تفسير هذا القول إن المقصود من شاء الله ولفظة شاء التي وردت في الآيات هي شاء بالمعنى التكويني والإجباري وليس بالمعنى التشريعي. وبعبارة ثانية إن الله لا يريد أن يتبع الناس ديناً واحداً بالإكراه. أما الحديث عن أحقية الأديان، فهذه الآية لا تتطرق إلى هذا الموضوع، وليست بصدد القيام بذلك وينبغي البحث عنه في الآيات الأخرى.

ينسب الشيخ الطبرسي هذا التفسير إلى قتادة وحسن^(١).

ب) تعدد الشرائع ونسخها

يقدم ابن عباس، وهو من المفسرين في صدر الإسلام، تفسيراً آخر فيذهب إلى أن القصد من هذه الآية هو: لو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة في دعوة جميع الأنبياء، وكانت الشريعة واحدة منذ آدم ﷺ حتى الخاتم ﷺ، ولم يكن فيها تبدل ولا نسخ^(٢). إلا أن الله تعالى لم يرد ذلك، بل أرسل أدياناً وشرائع كثيرة، فحصل تبدل في الشرائع السابقة ثم

(١) الشيخ الطبرسي: مجمع البيان ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه.

نسخت بالشرية الخاتمة. يورد العلامة الطباطبائي أدلة أخرى في تفسير الآية قائلًا: بل المراد بجعلهم أمة واحدة هو كون الناس على مستوى واحد من الاستعداد والتهيؤ لقبول الشريعة الواحدة لتقارب درجاتهم الملحوظة. فقوله «ولو شاء الله» من قبيل وضع علة الشرط موضع الشرط ليتضح باستحضارها معنى الجزاء، أعني قوله ولكن ليلونكم فيما آتاكم .. وبالجمله لما كانت العطايا الإلهية للإنسان من الاستعداد والتهيؤ مختلفة باختلاف الأزمان، وكانت الشريعة والسنة الإلهية الواجب إجرواها بينهم لتتيمم سعادة حياتهم وهي الامتحانات لا محالة باختلاف مراتب الاستعدادات وتنوعها أنتج ذلك لزوم اختلاف الشرائع^(١).

بناءً على هذا فإن الآية الشريفة من منظار العلامة تبين سبب الاختلاف وكثرة الشرائع، والسر الكامن وراء ذلك، بعبارة أخرى، أن هذه الآيات والآيات الأخرى تهدف إلى إعطاء معلومات عن كثرة الشرائع وتبيين اختلافها أما ان نذهب إلى استنتاج أحقية الشرائع السابقة وأنها تحتفظ بهذه الأحقية حتى عصرنا فهذا ما لا يوحى به إلينا ظاهر الآية.

ج) نفي البعثة

أما التفسير الثالث فيقول: لو شاء الله أن يجعل الناس أمة واحدة لم يكن ليرسل الأنبياء حتى يسير الناس على هدى عقولهم ويصبحوا أمة واحدة، غير أن الله بعث عدة أنبياء للهداية ليهتدي الناس حتى لو أدى إلى رفض بعضهم وما ينجم عن ذلك الرفض من اختلاف في صفوف الأمة.

ان نتيجة التفاسير المختلفة والمعتبرة هي ان ما قدمه المفسرون طيلة ١٤ قرنًا من الزمن لا يدل على أن كلامهم وبأي شكل من الأشكال، يؤيد رأي أنصار التعددية.

(١) الميزان ج ٥، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.



لو اعتبرنا - فرضاً - أن تفسير أنصار التعددية لتلك الآية بمثابة تفسير آخر يضاف إلى التفاسير السابقة التي قدمها ابن عباس والشيخ الطبرسي والعلامة الطباطبائي بدون أن نفضل هذا على ذلك، فإنّ هذا يدل على إضافة تفسير جديد إلى وجه الاحتمال والفرضية. وهنا تبرز نقطة لا بد من أخذها بعين الاعتبار، وهي أنه مادام التفسير الجديد لا يعارض التفاسير والمبادئ القرآنية فلا يمكن أن ندعي أنّ الآية تتحدث عن التعددية. هنا نحن أمام تفاسير وقراءات متعارضة ومتشابهة، فلكي يتبين موقف القرآن علينا أن نراجع الآيات الأخرى. سنوضح في الموضوعات اللاحقة أنّ الآيات الأخرى لا تبرهن بأي شكل على ادعاء أنصار التعددية بل الآية التي يستندون إليها تقف على النقيض من ادعائهم.

٢. تجاهل الآيات السابقة

قلنا في مقدمة هذا الفصل إنّ أنصار التعددية يتمسكون بجزء من الآية ويتجاهلون الآيات السابقة عليها واللاحقة لها، أو حتى نفس الآية، لكن إذا تأملنا في الآيات السابقة ينكشف لنا ضعف ووهن استدلالهم.

إنّ الله في الآيات السابقة يسرّي عن النبي ﷺ حول عدم إيمان أهل الكتاب ويقول:

﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا
ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾

وفي الآية نفسها يصف الله القرآن بأنه الكتاب المهيم على الكتب السابقة:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا
عَلَيْهِ﴾

إن المهيم كما يقول اللغويون والمفسرون تفيد امتلاك السلطة والحكم والإشراف. القرآن له سلطة على التوراة والإنجيل، كما يقول العلامة

الطباطبائي: تتحقق هيمنة القرآن على الكتاب المقدس بحفظه مبادئه الثابتة والفطرية وتغييره ونسخه التعاليم الفرعية^(١).

هناك نقطة أخرى تتمثل في ذكر المهيمن بعد المصدق، هي بهدف إزالة الظن والتوهم بأن القرآن يؤيد الكتب السابقة عليه بدون أدنى تغيير فيها، وهي النقطة التي من المحتمل أن يتخذها أنصار التعددية ذريعة لإثبات أقوالهم. تشير الآية (لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) إلى أن الله لو أراد لكان نسخ الشرائع السابقة، غير أن نسخ الكتب السماوية وأياً منها تصبح المهيمنة، هي أمور تتوقف على إرادة الله.

٣. اختلاف الأديان نتيجة الأهواء النفسية

حاول بعض أنصار التعددية أن يعللوا سبب اختيار الناس ديناً خاصاً ورفض الآخر إلى الأسباب الطبيعية والفطرية، ويضربون مثلاً أن أهل الكتاب يرفضون الإسلام لارتباطهم القلبي بشعبهم وقومهم ودينهم ونبئهم، وكذلك الحال مع الأقوام الأخرى. بناءً على هذا، وبما أن الله يعرف هذا الأمر فقد أرسل لكل قوم ديناً.

يقول أحدهم إن البشر يميلون إلى التفرقة والتحزب وهذا واقع تاريخي، والله يعلم أن النبي يحمل رسالة إلى قومه لكي يتبع الناس دينه (قليل منهم أو أكثرهم أو كلهم أو مجموعة خاصة) ويؤمنوا به وبالتالي يلتزموا بدينهم، فإذا ظهر نبي جديد بعد مرور عدة سنوات وظهور أجيال جديدة ودعا إلى دين جديد وطالب بأن يتركوا دينهم ويتبعوا دينه فهذا ليس بأمر هين على الناس لهذا لم تتحمل اليهودية دعوة المسيح والأمر نفسه حدث للنصارى عندما تمت دعوتهم إلى الإسلام فنشبت حروبٌ كبيرة بين الأديان الثلاثة^(٢)، ثم يستند إلى آيتين:

(١) الميزان ج ٥ ص ٣٤٨.

(٢) خرّمشاهي، بهاء الدين: بينات عدد ١٧، ص ١٧١ - ١٧٦.



﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(١)

﴿كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢)

أقول في تحليل ونقد كلامه إن الدين والشريعة الإلهية أمر فطري^(٣) وإنه يلبي حاجات ومعنويات الإنسان، ولو تمّ عرض الدين الإلهي بصورته الخالصة على الإنسان، ولم يدنس جوهر فطرته بالذنوب، فمن المستحيل أن يتم رفض الدين.

ملخص الكلام أن حقيقة الدين - وهو كما قلنا مراراً يعني التسليم لله - تتجلى في القبول والانقياد للأوامر الإلهية التي أبلغها الأنبياء، فلو فرضنا أن اليهود رفضوا المسيحية وهي رسالة إلهية وفطرية، فإن أصل دينهم يصبح محل ريبة، ولا يمكن الادعاء أنهم بقوا على فطرتهم كما هي. أجل إنهم بقوا على عصبيتهم الجاهلية البعيدة عن الحق والتزموا بها.

يصدق هذا القول على الإسلام فعندما رفضه اليهود والنصارى لم يكن عملهم نتيجة لفطرتهم الميالة نحو التفرقة، كما يقول الكاتب، أو العلاقة القلبية بإيمانهم بل ناتج من طابعهم المتمسم بالحسد والاستكبار والبغى والظلم، والذي جعل أكثرهم يتخذون موقف العناد والعداوة، وهم على علم بأحقية الإسلام. يكشف القرآن وفي عدة آيات النقاب عن سر هذا الأمر:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ﴾^(٤)

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ﴾^(٥)

(١) هود: ١١٨.

(٢) الروم: ٣٢.

(٣) ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ تَحْفَافٌ لِلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْيُنُهُمْ فِطْرَةَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَدِيمَ وَلَكِن كَثُرَ أَكْثَرُ النَّكَارِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠.

(٤) آل عمران: ١٩.

(٥) البقرة: ٢١٣.

والعشرات من الآيات التي تدعو إلى الوحدة والنهي عن التفرق في الدين أو اختيار الطرق غير المستقيمة أي السبل، فلا مجال هنا للتطرق إليها^(١).

يفرق العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان، بين اختلاف الناس في أمور الحياة والمعيشة واختلافهم في الدين ويؤكد أن السبب الرئيس في اختلاف الناس في الدين ليس إلا البغي والحسد^(٢).

أجل لا بد من الفصل بين من يجهلون أحقية دين الإسلام المقدس وهم جهلاء وبين العلماء من يصفهم القرآن بالمستضعفين لكن يرجون رحمة الله أما الاستناد إلى الآية ٣٢ من سورة الروم فهو يشير علامات الاستفهام والتعجب لأن هذه الآية بالذات والآيات التي قبلها تحذر التفرق في الدين بصراحة وتعتبره من ميزات المشركين.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ جَزَاءٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٣)

إن تلك الآية لا ترفض أن تتمسك كل فرقة بما لديها، كما لا تؤيد هذه القضية بل تأخذها بمعنى آخر وهو: لو حصل تعارض بين الفطرة والدين الحنيف فإنها تعتبر هذا الامر من ميزات المشركين وأصحاب النار.

تفسير الآية الـ ٨ من سورة الشورى

هناك تفاسير عديدة لهذه الآية لم تتحدث عن توجه تعددي، نشير إلى بعض منها:

(١) الروم: ٢٨ - ٣١ والأنعام: ١٥٣ - ١٥٩ وآل عمران: ١٠٥.

(٢) الميزان، ج ١١، ص ٤٥ و ٦١.

(٣) الروم: ٣١ - ٣٢.



أ) إرادة القدرة:

بما أن توضيح وشرح هذا الشرط لا يختلفان عن الشرح الذي قُدّم للآية السابقة فلا حاجة إلى التكرار. الجبائي^(١) والزمخشري^(٢) وآخرون يؤيدون هذا التفسير.

ب) ذكر المعاد

يعتقد بعض المفسرين أنّ الآيات السابقة والآية التي جرى الحديث عنها لا تشير إلى وحدة الأديان أو تفرقها بل إنها تتحدث عما يكون الناس عليه في يوم القيامة، ولو شاء الله لأدخلهم إما الجنة وإما السعير. وعندها تتكون الأمة الواحدة، ذلك أنّ الله هو مالك الناس بصورة مطلقة وأنّ الآية السالفة الذكر تلزم النبي بأن ينذر الناس بالمعاد ويصفه لهم حيث ينقسم الناس اثنتين:

﴿وَنُذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ لِمَعْلَمِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣)

من الواضح أنّ الآية تتحدث عن المعاد حيث يكون الناس إما أصحاب الجنة وإما أصحاب السعير ثم تقول إنّ الدخول في بوابة الرحمة الإلهية يتوقف على إرادة الله والظالمون مالهم من ولي ولا نصير. فهذا يشكل دليلاً آخر على أن القضية تتمحور حول المعاد.

من المعروف أن أسلوب الطباطبائي هو تفسير القرآن بالقرآن وهو يدافع عن هذا التفسير ويرفض التفسير الأول،^(٤) كذلك هو الأمر بالنسبة إلى

(١) مجمع البيان ج ٥، ص ٢٢.

(٢) تفسير الكشاف ج ٤٠، ص ٢١٠.

(٣) الشورى: ٧ - ٨.

(٤) الميزان ج ١٨، ص ٢٠.

المتقدمين من المفسرين^(١) فكيف يفسر دعاة التعددية ظاهر الآية ونصها بالخطأ ويتخذونها كدليل على أقوالهم؟ فهذا ليس واضحاً ولو قبلنا به كاحتمال، فستطو الإشكالية السابقة على السطح.

تفسير الآية الـ ١١٨ من سورة هود

هناك قراءتان في تفسير هذه الآية.

(أ) إرادة القدرة:

في ضوء الآيات السابقة^(٢) يتضح لنا أنّ هذه الآية بصدد التعبير عن اختلاف الناس في أمر الدين الحق. على سبيل المثال إنّ الله في الآيات السابقة يهدئ النبي ﷺ لعدم إيمان المشركين بالإسلام ويذكر أنّ المشركين أعرضوا عن الدين الحق كأبائهم والأمم السابقة، أما النقطة المهمة فهي ليست تأييد الناس عندما يختلفون في أمر الدين، بل إنه يبشرهم بالعذاب الشديد في يوم القيامة.

ولكي يهدئ النبي يشير الله إلى أنه أنزل الكتاب على النبي موسى فاختلف أمته فيه، وفي نهاية الآية يذكرنا بأنه أمهل الكافرين في الدنيا.

إنّ الحديث في الآيات السابقة يتمحور حول اختلاف الناس في الدين الإلهي وتقسيمهم إلى مؤمن وملحد، ثم يشير الله إلى قوته المطلقة وأنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة، لكن ترك الحرية للناس لكي يختاروا الصراط المستقيم بأنفسهم ويشاهدوا جزاء عملهم في الآخرة. هذا الأمر أفضى إلى أن يكون الناس على أديان مختلفة لأن أمر الله اقتضى أن لا يختار الناس ديناً واحداً بالإكراه والإجبار.

(١) مجمع البيان ج ٥، ص ٢٢.

(٢) ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعَثُ الْمُتُكِّلُونَ مَا يَبْعَثُونَ إِلَّا كَمَا يَبْعَثُ آبَاؤُهُمْ مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوَدُّهُمْ نَعِيْبَهُمْ غَيْرَ مُنْصِفِينَ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِنَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّمَا لِيَ سَلَكُ يَتَّهُ مُرِيبٌ ﴿ (سورة هود).



ثم إن الآية تدل على كثرة الأديان، لكنه لا يوجد فيها أي دليل على أنها تؤيد ديناً بعينه. ويبدو أن دلالة الآية على كثرة الأديان تفنّد مزاعم التعددية بشكل تامّ.

كما يؤيد الكثير من المفسرين كقنادة^(١) والطبرسي^(٢) والطوسي^(٣) والعلامة الطباطبائي^(٤)، ما ذكرناه سابقاً.

ب) ذكر المعاد:

يذهب البعض كابن مسلم إلى أن الآية تتحدث عن المعاد، وذكرنا هذا في ما سبق. لكن يبدو أن التفسير الأول هو الأصح نظراً إلى الأدلة التي توجد في الآيات السابقة.

تفسير الآية الـ ٤٨ من سورة البقرة

هناك وجهات نظر كثيرة حول تفسير هذه الآية، نشير إلى التفاسير المعروفة:

أ) ذكر القبلة

إنّ القول الشهير عن كلمة الوجهة التي وردت في هذه الآية هو أنها تعني القبلة، وهي الجهة التي يصلي الناس نحوها، أي أنّ لكل الأقوام والأديان قبلة يصلون نحوها، اليهود يتجهون إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق الناصري مولد النبي عيسى، والمسلمون إلى الكعبة.

إنّ هذا الدليل في تفسير هذه الآية هو الآيات السابقة عليها واللاحقة

(١) مجمع البيان ج٣، ص٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تفسير التبيان ج٦، ص٨٣.

(٤) الميزان ج١١، ص٤٥ - ٦١.

لها^(١)، وإن جميعها تدل على تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. فضلاً عن هذا إن الوجهة - كما ذكر اللغويون كالفراء^(٢) وراغب^(٣) - مشتقة من الوجه أي القصد وليس الطريق والمنهج. ثم إن تفسير الوجهة بمعنى القبلة يوافق المعنى اللغوي لها.

إن الشيخ الطبرسي ينسب هذا الرأي إلى أغلبية المفسرين، ويقول الفخر الرازي إنّه قول المفسرين باستثناء الحسن. كما أورد هذا التفسير الكثير من المفسرين نشير إليهم حسب الترتيب التاريخي. يمكن ذكر ابن عباس ومجاهد وقتادة من الأوائل ومن المتقدمين أغلبية المفسرين كالطبرسي^(٤) والطوسي^(٥) والبيضاوي^(٦) والمراغي^(٧) والزمخشري^(٨) والالوسي^(٩) ومن المعاصرين العلامة الطباطبائي^(١٠).

هناك قضايا تخصصية تطرق إليها المفسرون حول المضاف إليه «لكل» ومرجع الضمير «هو» لا مجال لطرحها هنا^(١١).

بناءً على ما تقدّم إن الآية لا تتحدث في الأساس عن موضوع اختلاف الأديان، فليس هناك أي دليل ليطمسك به أنصار التعددية.

(١) «وَلَكِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تِيمُوا فِئْتِكَ وَمَا أَنْتَ بِتَالِعِ فِئْتِهِمْ وَمَا تَعْشُهُمْ بِتَالِحِ فِئْتَلَةٍ بَعْضٌ وَلَكِنْ أَنْتَ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَيْلِ إِنَّكَ إِذَا لَئِنَ الظَّالِمِينَ».

(٢) فخر الرازي: التفسير الكبير ج ٤، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٣) مفردات راغب، اصل وجهه؛ مجمع البحرين ج ٦، ص ٣٦٥ (كتاب الماء، ما أوله الواو).

(٤) مجمع البيان ج ١، ص ٢٣١.

(٥) تفسير التبيان ج ٢، ص ٢٤.

(٦) تفسير البيضاوي ج ١، ص ٩٤.

(٧) تفسير المراغي ج ٢، ص ١٤.

(٨) تفسير الكشاف ج ١، ص ٢٠٥.

(٩) تفسير روح المعاني ج ٢، ص ١٥.

(١٠) الميزان ج ١، ص ٣٢٧.

(١١) ذكرت هذه الاحتمالات للمضاف إليه لكل: (أ) القوم والناس (ب) أهل الكتاب (ج) أهل الكتاب والمسلمون (د) الفرق الإسلامية، وسنشير إليها لاحقاً.



ب) ذكر اختلاف الشريعة:

قلة من المفسرين يذهبون إلى أنّ القصد من الوجهة هو المنهاج والشريعة بمعنى أنّ الآية تتحدث عن الاختلاف في الشرائع.

الحسن من المدافعين الشهيرين عن هذه القراءة، إلاّ أنّه يؤكد أنّ المراد من المنهاج والشرع هو المعنى المصطلحي للشريعة وليس الدين. والمراد منه أنّ للشرائع مصالح فلا جرم اختلاف الشرائع بحسب اختلاف الأشخاص، وكما اختلف بحسب الأشخاص لم يبعد أيضاً اختلافها بحسب الزمان بالنسبة إلى شخص واحد. ولهذا صح القول بالنسخ والتغيير^(١). وهناك من المفسرين من صنف هذا التعبير ضمن التفسير السابق، كالفيض الكاشاني^(٢).

إنّ أنصار هذه الرؤية لا يتفقون حول مرجع الضمير «هو»؛ فالبعض يرى أنّ لكلّ بمعنى أنّ لكل قوم شريعة وطريقاً يتجه نحوها. وعليه فالآية تدل على كثرة الأديان لكنها لا تثبت أحقيتها بمعنى أنّ الآية تهدف إلى شرح وضع الناس والشعوب وبأن لكل شعب طريقاً يختاره.

ذهب البعض إلى أنّ الله هو المرجع لضمير «هو» وأنّ لكل قوم طريقاً ومنهجاً يهديهم الله إلى هدفهم وطريقهم. هذا القول يطرح السؤال التالي وهو: هل الوجهة هي الطريق بصورة مطلقة، حقاً كانت أم باطلاً؟ أم الهدف هو الشريعة والدين الحق؟

أما القول بأنّ الله يهدي ويرشد إلى الباطل فليس من شأن المؤمن حتى لو كان من دعاة التعددية. إنّ الله يدعو الناس إلى الشرائع الحقّة وإنّ القرآن يؤيد هذا الأصل. أمّا القول بأنها تدل على أحقية الأديان سيّما أهل الكتاب، وإنّ الشخص وبهداية من الله أصبح يهودياً أو نصرانياً فينبغي أن

(١) مجمع البيان ج ١، ص ٣٢١.

(٢) تفسير الصافي ج ١، ص ١٥٠.

نقول إنّ استنتاج هذه المقاربة هو خلاف لظاهر لفظة الوجهة ومتفرعة على تفسير الوجهة بمعنى الشريعة كما أنها ناتجة من إرجاع ضمير هو إلى الله والتي تتطلب منا التأمل. ثم هذا التفسير يعارض الآيات الأخرى والآية التي تسبقها^(١) حيث تصرح بأن أهل الكتاب لم يهتدوا ومصيرهم هو الشقاق، وتعتبر رفض الإسلام ناتجاً من إبتاعهم الأهواء النفسية، فولدنا لم يترك أي دليل لإثبات تفسير دعاة التعددية لهذه الآية.

ج) الإشارة إلى اختلاف الغاية:

أما التفسير الثالث فهو التفسير العرفاني الذي يؤيد التفسير اللغوي للفظه الوجهة، أي أن القصد من الوجهة هو الجهة والغاية، كما أنّ الآية تؤكد أن لكل قوم وإنسان طريقاً ومسيراً نحو الكمال في هذه الدنيا، وذلك حسب استعداده وقدراته، ويرشده الله نحو ذلك الهدف (إنّ الله مرجع ضمير هو) أو أن الأمم والناس تتوجه إلى ذلك الهدف (مرجع الضمير هو إلى الكل).

يقدم مُحبي الدين بن عربي مثل هذا التفسير حيث يقول: ولكل واحد منكم غاية وكمال بحسب استعداده الأول، والله موجه وجهه إليها أو هو نفسه موجه إليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده بإذن الله^(٢) إن الحديث حول هذا الرأي يتطلب موقفاً آخر.

أما النتيجة فإنّ تفسير دعاة التعددية هذه الآية لصالحهم يعد تفسيراً ابتداعياً يخالف الآيات السابقة والآيات اللاحقة والآيات الأخرى، وإنّ تأويل معنى هذه الآية يتوقف على تجاهل التفاسير الثلاثة المعقولة والمعروفة السابقة والتي تنقسم بدورها إلى وجهات نظر عديدة، ولو قبلنا به كفرضية ستظهر المشكلة الآنفة الذكر.

(١) ﴿وَإِنَّا نَسْنَأُ يُنَبِّلُ مَا ءَامَنُمْ بِهِ فَفَدَّرْ أَهْتَدُوا وَإِن نُّوَلِّا فَاَلَمَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾.

(٢) مُحبي الدين بن عربي، تفسير القرآن الكريم ج ١، ص ٩٦.

تفسير سبب التسابق في الخيرات :

يتمسك البعض بالآية ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ كدليل على الاعتراف بالتعددية لأن الآية تدعو كافة الناس إلى التسابق في الخيرات بغية الحصول على القرب الإلهي، وتتحقق هذه الدعوة والتسابق في حالة واحدة وهي أن يتمتع كافة الناس بالظروف والأرضية المتساوية لإجراء المسابقة. عندها يتحقق الصراط المستقيم ويمكن اعتبار دينهم وصراطهم هو الحق.

إنّ المسابقة لكي تكون عادلة لا بد أن يتمتع الجميع بظروف مشابهة كما الحال في مسابقات العدو حيث يقف الجميع على خط واحد ولا ينبغي أن يتقدم أحد أو يتأخر. ويستنبط من آية ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أن الأديان كلها بمثابة طرق للوصول إلى الله^(١).

إنّ الكاتب يدعي في مقال آخر أنّ الخيرات التي يعتبرها كشرط للمسابقة، توجد في الأديان كلها كالإسلام واليهودية بصورة متساوية^(٢).

ما تطرقنا إليه سابقاً يجيب عن هذا السؤال لأنه لم يكن هناك شك بأنّ الله دعا كافة الناس حتى أهل الكتاب إلى الإسلام المحمدي، وهناك العشرات بل المئات من الآيات تؤيد هذا الموضوع بصراحة. في الواقع إنّ هذه النقطة هي البداية للسباق الحقيقي فإنه يبدأ من هنا. بعبارة أخرى: هناك شرط للمشاركة في السباق وهو التسجيل في مدرسة الشريعة الإسلامية، ومن لا يسجل اسمه في هذه المدرسة فلن يحضر السباق أساساً حتى يتحدث عن الظروف العادلة أو القاسية. إنّ القرآن يطلق على من

(١) بينا الدكتور محمود: هفت اسمان عددا، ص ٨.

(٢) أقول في جواب هذا السؤال: هل إن للدين طريقاً بعيداً للوصول إلى الله أم لا؟ لنرجع إلى الآية فاستبقوا الخيرات لو وجدت في دين ما امكانية أكثر فإن دعوة الله إلى السباق هي غير عادلة؛ ان الله يقول لو شاء الله لجمعكم أمة واحدة لكننا لم نفعل فاللام عديدة ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. المصدر نفسه، ص ١٢ - ٢٢.

خرجوا من السباق، ومنهم أهل الكتاب، الصفات التالية: الكافر الفاسق المعاند وأصحاب النار، فيعلن عدم نجاحهم مسبقاً.

لنوضح أكثر فنقول إن عبارة ﴿فَأَسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ﴾ تدل على من حضروا السباق وهم المسلمون، ويؤيد كلامنا المفسرون جميعاً. ولو افترضنا أنّ الدعوة إلى الخيرات لها دلالة عامة حيث تشمل أهل الكتاب، ففي هذه الحالة يعني أنّ لكل قوم طريقاً وشريعة خاصة، وكما يريد الله من أتباع الشرائع المختلفة أن يعملوا بالخيرات والإحسان، إذا لم يستسلموا للشريعة الإلهية الكاملة والأخيرة كحد ادنى، كدعوة أهل الكتاب إلى التوحيد^(١) باعتباره القاسم المشترك للأديان الإبراهيمية. ويدعوهم الله مراراً إلى الإسلام المحمدي ويشدد عليهم بأن يلتزموا على الأقل بأصل التوحيد، إذا رفضوا الإسلام، وهذا يؤدي في نهاية المطاف إلى القبول بالدين الاسلامي. وسوف نقوم بتوضيح الآية لاحقاً.

بناءً على ما تقدّم أشير إلى نقطتين: الأولى أنّ الآية تخاطب المسلمين، والثانية لو عممنا الآية فإنها تدعو إلى الخيرات فقط، وليس فيها ما يدل على تأييد أحقية الشرائع المختلفة.

الدليل الثالث: استخدام صراط مستقيم بصيغة النكرة

يعتقد أنصار التعددية أن القرآن يتحدث عن صراط مستقيم بصورة مطلقة وبصيغة النكرة لإيصال رسالة مفادها أنّ لكل نبي وأتباعه صراطاً مستقيماً؛ فعند كثرة الأنبياء أو أصحاب الشريعة منهم نجد طرقاً مستقيمة وليس صراطاً مستقيماً. نشير في ما يلي إلى الآيات التي يستند إليها أنصار التعددية.

(١) ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) الزخرف: ٤٣.



يرى أنصار التعددية أنّ الآية هذه تصف نبي الإسلام بأنه الوحيد الذي يسير على منهج واحد وصراط مستقيم. نستنتج من هذا أنّنا لسنا أمام صراط مستقيم خاص يعرف بالإسلام بل هناك عدة طرق مستقيمة وحقّة في نفس الوقت. أمّا الدليل فهو صراط مستقيم بصورة مطلقة ونكرة وعدم تقييده بال المعرفة والعهدية كي يختص بصراط خاص ومحدد وهو شريعة النبي محمد ﷺ.

(ب) ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)

(ج) ﴿وَبِئْتِنَا نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢)

هاتان الآيتان تخاطبان النبي، ويصدق ما قلنا أنّها عليهما.

(د) ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)

هذه الآية تخاطب النبي إبراهيم وتقول بأنه يسير على الصراط المستقيم.

يكتب الدكتور سروش مستندًا إلى هذه الآية:

لا بد من الإصغاء إلى هذه النقطة وبالتالي تغيير المشهد والمنظر كي لا نرى العالم بأنه مكون من خط واحد مستقيم، ومئات من الخطوط المتفرجة، بل يتكون العالم من مجموعة من الخطوط المستقيمة والمتقاطعة والمتوازية. فالحقيقة غارقة في الحقيقة أ لا يعني هذا أنّ القرآن يصف الأنبياء بأنهم على الصراط المستقيم أي يسرون على أحد الطرق المستقيمة^(٤)؟

(١) يس: ٣ - ٤.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) النحل: ٢١.

(٤) سروش عبدالكريم؛ صراطهاي مستقيم، ص ٢٧.

نقد ورأي

ما أوردنا هو دليل ضعيف يتمسك به دعاة التعددية، وسنشير إلى نفاثته.

(أ) عدم الاكتراث لمعنى عبارة الصراط المستقيم

مشكلة الرؤية تلك هي عدم الاكتراث بمعنى عبارة الصراط المستقيم في القرآن، لو نظرنا إلى تكرار هذا المصطلح في القرآن (ما يقارب ٣٢ مرة) لا تُضح أنه يعني جوهر الدين وحقيقته أي التسليم إلى أمر الله كما تعرّف بعض الآيات الإلهية أنّ المعرفة التعبدية وعبادة الحق المرافقة بأنها الصراط المستقيم.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(١)

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢)

لهذا نجد في بعض الآيات أنّ كلمة الصراط تضاف إلى كلمة الله.

﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْدَمَ لَمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤)

كما تعني الصراط المستقيم في الآيات الأخرى الهداية التي تقابل الضلالة.

﴿مَنْ يَسْأَلِ اللَّهَ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَسْأَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥)

فمن هذا المنطلق إنّ حقيقة الصراط المستقيم هي العبودية لله والالتزام بالدين السماوي. الصراط المستقيم هو كالنور يحصل للانسان في ظله على

(١) يس: ٥١.

(٢) آل عمران: ٥١.

(٣) الشورى: ٥٣.

(٤) الأعراف: ١٦.

(٥) الأنعام: ٣٩.



القرب إلى الله ومثله كحقيقة النور واحدة ولا تقبل الكثرة، لكن شأنه شأن النور في الشدة والضعف. إنّ الصراط المستقيم مر بمراحل التطور منذ أن ظهر أول نبي، بمرور الأزمنة والتطور في استعداد الأنبياء والامم.

إنّ سبب الوحدة في حقيقة الصراط هو عدم استعماله بصورة الجمع خلافاً للشريعة والمنهاج والسبيل التي استخدمت بصيغة الجمع غير مرة. إنّ سبب منظار التشكيك المفتعل وتطور الصراط هو استخدامه في أكثر الاحيان بصورة نكرة، بعبارة أخرى إنّ الصراط المستقيم هو واحد لكن الصراط المستقيم الذي تحدث عنه النبي آدم على سبيل المثال أو اهتدى وفقه، يختلف عن الصراط المستقيم الذي عرفه النبي محمد ﷺ^(١) وسار على دربه. في الحقيقة إنّ هذه الطرق تقف في مسار طولي وليس عرضياً.

يتضح مما ذكرناه أنّ الصراط المستقيم، كحقيقة الإسلام، يتمظهر في كل عصر وزمن بشكل خاص. على سبيل المثال، كان اليهود على الصراط المستقيم حتى ظهور عيسى، فأصبح مكوثهم في الصراط المستقيم منوطاً بالتسليم لشريعة عيسى. ولو رفضوا النبي عيسى فلا يخرجون عن الصراط المستقيم الذي كانوا عليه فحسب بل يصبحون من الكفار. كما يدعو النبي عيسى اليهود إلى الصراط المستقيم، ويرى أنّ أصل التوحيد وعبادة الله تشكل حقيقته ويقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ سُلَيْمَانَ * رَبَّنَا ءَأَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَسَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢)

التدقيق في هذه الآية الشريفة يرشدنا إلى عدة نقاط حساسة ومهمة تتعلق بحقيقة الصراط المستقيم والاسلام. إنّ الآية لا تحصر حقيقة الصراط

(١) الميزان، ج ١.

(٢) آل عمران: ٥١ - ٥٣.



المستقيم بالتوحيد فحسب، بل تُضيف عبادة الله كمبدأ ثانٍ لها لأن اليهود قد افتقدوا هذا المبدأ بسبب عدم إيمانهم بالنبي عيسى. فهذه الآية تخرجهم من دائرة الصراط المستقيم وتصفهم بالكفار. أمّا الجزء الثاني لهذه الآية فيقول إنّ حقيقة الإسلام والمسلم تتجلى بالإيمان بالكتاب السماوي واتباع النبي محمد ﷺ.

هناك نقطة أخرى تفيد بأن التعريف الذي ذكرناه عن الصراط المستقيم لا يختص بعصر عيسى والشعب اليهودي؛ فمن لا يعتنق الإسلام بعد ظهور النبي محمد ﷺ يخرج عن دائرة الصراط المستقيم ويصبح بذلك كافراً. ذكرنا فيما سبق الآيات التي تدل على أن أهل الكتاب هم كفار.

ب) الإجابة النقضية

لو افترضنا أنّ وجود عبارة صراط مستقيم وبصيغة النكرة دليل على الكثرة، فإن استعمالها مع «ال» التعريف والعهد دليل على الوحدة.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١)

نرى في هذه الآية فضلاً عن ذكر عبارة الصراط المستقيم (معرفةً بال التعريف) استخدام قيدتين اثنتين، وتفسر بعض الآيات هذين القيدتين بأنهما اليهود والنصارى، وتصرح بأنهما خرجا عن الصراط المستقيم.

أما النقطة الثانية، فإن الآيات الأخرى تفسر الصراط المستقيم - وتطرقنا إلى هذا الموضوع سابقاً - منها لفظة الإسلام المعرفة بال في الآية الشريفة ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ﴾.



ج) الخلط بين تنوين التنكير والتفخيم

هناك مسألة أدبية مفادها أنّ التنوين في الصراط ليس بتنوين التنكير كي تُستنبط الكثرة منه بل إنّ التنوين هو تنوين التفخيم، شأنها شأن تنوين صراط في الآية ﴿إِنَّ رَبِّيَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) إنّ تنكير لفظة «صراط» في هذه الآية لايعني كثرة الصراط وأنّ الله على أحدها. ومعلوم أنّ تنوين التفخيم يستخدم للتعبير عن العظمة والشأن^(٢).

د) الخلط بين الإسلام السابق والاسلام المحمدي ﷺ

ظهر لنا بوضوح ضعف استناد أنصار التعددية بالآيات السابقة، وأنّ البحث حول ورود عبارة صراط مستقيم بصيغة النكرة على لسان الأنبياء السابقين يخرج عن بحثنا لأنّ البحث لا يدور حول الطرق المستقيمة قبل الإسلام بل بعد ظهور الإسلام.

هـ) وجود الدلائل

أمّا النقطة الثانية فهي أنّ الإسلام هو المراد، في الآيات التي تؤيد سير النبي على صراط مستقيم (اللفظ بشكل نكرة)، وأمّا الدليل فهو الآيات الأخرى والآية الثالثة من سورة يس^(٣) (انظر إلى الآيات السابقة عليها واللاحقة لها) حيث يقسم الله بالقرآن أنّ القرآن كتاب النبي محمد ﷺ ويدعو كافة الناس حتى أهل الكتاب إلى الإسلام. وبصريح العبارة يعتبر أهل الكتاب من الكفار ويصف نفسه بالكتاب المهيمن ثم يذم ويؤنب

(١) هود: ٥٦.

(٢) راجع تفسير الميزان ج ٥ ص ٢٤٦ آية الله معرفت، جامعه مدني، ص ١٣٢.

(٣) ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَن صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * نَزِيلَ الْعَزْزِ الْحَكِيمِ * لِشَدِيدِ قَوْمًا مَّا أَتَيْدَ ءَابَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَن أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِ آثَنًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾.

الرافضين للاسلام ويعدهم بالعذاب لأنهم أعرضوا عن الإسلام وهم يعرفون حقيقة الإسلام.

فضلاً عن الآيات نفسها فإن النبي محمداً ﷺ باعتباره صاحب الشريعة والساثر على الصراط المستقيم، يؤكد في عدة روايات نقلت عنه، على حصر الصراط المستقيم بالاسلام. نكتفي بذكر مثال واحد: ينقل ابن مسعود عن النبي بأنه رسم خطأ مستقيماً وقال هذا سبيل الرشد ثم رسم خطأ في اليمين وخطأ في الشمال وقال هذه طرق وسبل يشرف عليها شيطان يدعو إليها. ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(١).

هل بالإمكان تفسير هذه الآية بأنّ هناك طرقاً مستقيمة نظراً إلى الآيات التي تسبق الآية وتليها، وتفسير النبي للصراط المستقيم لمجرد ذكرها بصيغة النكرة؟!

الدليل الرابع: التوحيد والعمل الصالح، معيار الهداية

الدليل الرابع القرآني الذي يستند إليه أنصار التعددية يتمثل في تمسكهم بآيات تحصر معيار الهداية والفلاح في ثلاثة أصول عامة، وهي الإيمان بالله والمعاد والعمل الصالح^(٢)، ولا يهتمون بالقيود الأخرى كاعتناق دين خاص كالاسلام. فمن البديهي لو آمنوا بهذه المعتقدات فإنّ عليهم الإشارة إلى الآيات القرآنية، في غير هذا تصيح الحالة إغراء بالجهل، وهذا ما يستحيل وقوعه من جانب الخالق الحكيم والعليم. بناءً على ما تقدّم، لو كان أتباع الأديان الأخرى على اعتقاد بالمبادئ الثلاثة الأنفة الذكر، سيصنفون ضمن أهل الهداية والفلاح. ونشير إلى الآيات القرآنية التي يستندون إليها:

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) يذكر ان الإيمان بالتعالم الدينية كالإيمان بالغيب والملائكة والكتاب والنبوة، تشكل فروع الأديان.



﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالصَّٰدِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)
 ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
 نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(٣)

﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
 أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤)

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ فَيَلَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ... ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾﴾^(٥)

يركز السيد بهاء الدين خرمشاهي بصورة خاصة، على تلك الآيات كما
 يعتبر الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران بأنها حول الإلهيات العالمية ويعبر
 عنها بالبيان أو المادة الواحدة ويقول إن روح وجوهر الدين والإيمان
 يتلخص في كلمة واحدة^(٦). ومع هذا هو يقبل بأصل النسخ في تلك المقالة
 كأصل إسلامي مسلم به ويرى أن الآية لها غاية واحدة، ويقول في عبارة
 وجيزة:

هي في رؤية الإسلام والمسلمين من القدماء والمحدثين، دعوة إلى
 الحد الأدنى^(٧).

(١) البقرة: ٦٢.

(٢) البقرة: ١١٢.

(٣) آل عمران: ٦٤.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) البقرة: ١٧٧.

(٦) خرمشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص ٥٤٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٥٣.

بينما يرفض أصل النسخ في بحث آخر^(١) ويرى أن الآية تدعو إلى الحد الأكثر أي أن الفلاح يتحقق في كل الأديان. ويكتب عند شرحه الآية السابقة والآية الـ ١٢ من سورة الحجرات:

إنّ الله لا يحصر معيار التقرب في اعتناق دين أو مذهب خاص بل إنّ معيار الفلاح والتقرب إلى الله هو القيام بالعمل الصالح أي التقوى، هذا الخطاب موجه إلى كافة الشعوب والقبائل، وينبغي القول إنّ الله ينظر إلى التوحيد والإيمان كأصلين مسلمين ولا يتحدث عنهما^(٢).

ثم يستنتج من بحثه حول الآيتين والآيات الأخرى هذه النتيجة: أننا لو جمعنا بين مضمون الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران وآية الشعوبية والآيات الأخرى التي تتحدث عن الفرق المختلفة لأهل الكتاب، يظهر لنا أننا لو أردنا البحث في الآيات القرآنية وأحكامها حول الإلهيات العالمية التي هي محل توافق كافة المؤمنين على وجه المعمورة، لبلغنا أنها تتجلى في الإيمان والعمل الصالح.

لنسأل: ألا يفلح من يعتقد بالتوحيد مخلصاً طوال حياته، بغض النظر عن مذهبه^(٣)؟

يذهب الدكتور محمود بينا إلى أن كافة الأديان تشترك في الأصول الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد؛ لهذا تؤمن بالتعددية، ثم يستند إلى دعم ادعائه إلى عدّة آيات تشير إلى مدح وعلو شأن أهل الكتاب، سنشير إليها في المبحث القادم^(٤).

(١) قرآن وإلهيات جهاني، بينات، عدد ١٧، ص ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) السماوات السبع عدد ١ ص ٨.



تفسير الآية ال ٦٢ من سورة البقرة

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰبِقِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

سنفسر الآية ونتأمل فيها كي يتبين ضعف ادعاء أنصار التعددية:

١) الاهتمام بأسباب نزول الآية (تأييد الإيمان قبل الإسلام)

لكي ندرك معنى ومفهوم عبارة ما، من الضروري الاهتمام بعدة مبادئ، منها الزمن والمخاطب ودافع المتحدث. لم يأخذ أنصار التعددية، مع الأسف، هذه المبادئ بعين الاعتبار، بل صبوا اهتمامهم على الترجمة اللغوية واللفظية (بصورة انتقائية) للآيات.

إنّ الاهتمام بأسباب نزول هذه الآية يعطينا المعنى والمفهوم الحقيقي للآية. قيل حول سبب نزول الآية إنّ سلمان الفارسي كان في بداية أمره مجوسياً ثم اعتنق المسيحية برفقة ابن الحاكم على يد راهب نصراني. ثم ذكر هذا الراهب علائم نبي الإسلام الذي سيظهر لاحقاً. عندما سمع سلمان بظهور النبي في مكة التي كانت إحدى علائم النبي الموعود أسرع نحو تلك البلاد وعندما رأى أنّ العلائم التي ذكرها الراهب تتوافر في نبي الإسلام اعتنق الإسلام، وقد سأل النبي حول مصير الراهب الذي توفي فقال بعض الصحابة بأنه كافر، فنزلت هذه الآية^(١).

بناءً على ما تقدّم فإنّ الآية تتعلق بإيمان أهل الكتاب حيث كانت مبادئ الأديان الثلاثة في دينهم ووافتهم المنية، فإنّ الآية ليس لها صلة ببقاء الأديان على أحقيتها. هذا هو التفسير الذي قدمه الألبوسي^(٢) وسيد قطب^(٣)، كما ينسب الفخر الرازي هذا التفسير إلى ابن عباس^(٤).

(١) للمزيد راجع: جامع البيان، مجمع التبيان، ذيل الآية ال ٦٢.

(٢) تفسير روح المعاني ج ١ ص ٢٧٩.

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ١ ص ٩٦.

(٤) بهذه العبارة إنّ القصد من الذين آمنوا هم المؤمنون الصادقون كالراهب البحري وأهل =

ب) ازالة التوهم عن كون العناوين معياراً

إنّ التفسير الثاني لهذه الآية يرنو إلى إزالة الوهم القائل إنّ معيار الهداية ودخول الجنة لا ينحصر في دين كاليهودية والمسيحية كما توهم اليهود والنصارى^(١)، بل إنّ معيار الهداية والتقرب إلى الله هو الأصول الثلاثة التي ذكرت سابقاً. لكن الآية لا تتحدث عن تلك الأصول الثلاثة وإنها تتحقق في أي من الأديان.

بعبارة ثانية إنّ الآيات بصدّد الحديث عن المبادئ الثلاثة للتقرب إلى الله والنجاة. لكن ما هي ميزات ومتطلبات الإيمان بالله والعمل الصالح؟ هل الإيمان بالله يستلزم تصديق كافة الأنبياء، ومنهم النبي محمد ﷺ؟ لا تجيب الآية عن هذه الأسئلة، وعلينا البحث عن الإجابة في الآيات الأخرى.

يدافع العلامة الطباطبائي عن هذا التفسير، ثم لكي يؤيد قوله بأن القصد من اليهود والنصارى والصابئة ليس ما ورد في الآية من عناوين، يذكر بأنه تم حذف ضمير منهم من صلة موصول الموجود في بداية الآية ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ كي يتبين الفرق بين صنفين من أهل الإيمان.

ج) تفسير معنى الإيمان بالله

ثمة من يعتقد أن شرط الهداية والفلاح هو المعايير الثلاثة المذكورة آنفاً، منها الإيمان بالله، ولو آمن أهل الكتاب بالله فانهم يفلحون. لكن الحديث هنا يتمحور حول التأكد من إيمانهم الحقيقي بالله لأن الإيمان الحقيقي هو التسليم أمام الله ورسالته كما تمت البشارة في التوراة والإنجيل بظهور نبي الإسلام وطلب من أتباعها أن يعتنقوا الإسلام. فلو تحقق هذا

=الكتاب هم اليهود والصابئة من بقوا على دينهم المحرف. راجع التفسير الكبير ج ٣ ص ٥٠٤.

(١) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ البقرة: ١٣٥.

الطلب وعمل به فيصبح أهل الكتاب من المؤمنين الحقيقيين، وفي غير هذه الحالة لا يمكن الادعاء بأنهم مؤمنين حين عصوا أمر الله.

هناك آيات عديدة تكفّر أهل الكتاب وهي تثبت عدم إيمانهم. على سبيل المثال، تصف الآية التي تأتي بعد حين من يؤمنون ببعض الأنبياء وينكرون نبوة البعض، كنبى الإسلام بأنهم الكفار الحقيقيون وتعدهم بعذاب مهين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١)

وفقا لهذه الرؤية إن الإيمان بالله يتخذ معنى عاماً يشتمل على الإيمان بالأنبياء ومنهم نبي الإسلام، هذا هو التفسير الذي أيده أغلبية المفسرين ك الزمخشري^(٢) والمراغي^(٣) والشوكاني^(٤).

(د) تفسير معنى العمل الصالح

هناك من يعتقد أنّ المعيار الثالث للفلاح أي العمل الصالح ليس له معنى عرفي، بل له معنى ديني خاصّ هذا يعني أن فلاح الانسان مرهون بالعمل الصالح الذي يؤيده الله. بمعنى آخر على أتباع الشرائع المختلفة ان يعملوا عملاً صالحاً فضلاً عن إيمانهم بالله والمعاد. لكن يضع القرآن للعمل الصالح إطاراً وهو مطابقته مع الدين والنبي في كل عصر.

السبب راجع إلى أن القرآن وفي عدة مواقف يكفر أهل الكتاب ويصف

(١) النساء: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) الكشاف، ج ١، ص ١٤٦.

(٣) تفسير المراغي، ج ١، ص ٣٤.

(٤) تفسير فتح، ج ١، ص ٧٨.

أعمال الكفار بالسراب^(١) وظلمات البحر^(٢) والرماد أمام العواصف^(٣) فلا يمكن الادعاء أن أعمالهم صالحة، وهم يسرون على الصراط المستقيم.

يستند بعض المفكرين المعاصرين^(٤) لتأييد ادعائهم إلى دليل آخر وهو عدم تكرار حرف الواو في «من آمن» ونستنتج أن معيار تحقيق السعادة هو الإيمان بالله والمعاد والعمل الصالح، بغض النظر عن دين ومذهب الشخص، والذي يتبلور في كل عصر بشكل خاص. يتجلى العمل الصالح في عصر المسيح باتباعه كما الحال عند ظهور نبي الإسلام. ثم سيطعن في إيمان أهل الكتاب لرفضهم الأصل الثالث، وهو قبول الإسلام، ولا تشملهم قاعدة «وعمل صالحاً» كي نستنتج أحقية دينهم من تلك الآية.

هـ) التفسير بالآيات الأخرى

ما ذكرناه من تفاسير يعطي صورة واضحة عن معنى ومفهوم الآية الشريفة. لكن التفسير المهم والرئيس الذي لا يترك مجالاً للشك هو تفسير الآية بوساطة الآيات الأخرى وسنأتي بالبحث عنها بعدئذ.

هناك الكثير من الآيات تصف أهل الكتاب بالكفار لأنهم يكتمون ظهور الإسلام ولم يعتنقوه، وتهدهم بالعذاب في الآخرة وتؤكد أن سبيلهم للسير على الصراط المستقيم هو اعتناق الإسلام، كما تصف الآية الـ ٦٨ من سورة المائدة القرآن بالمهيمن و(الآية الـ ٤٨) وتضيف أن الأهواء النفسية تحول دون اعتناقهم الإسلام (الآية الـ ٤٩) ثم تذكر بأن شرط دخولهم الجنة وغفران ذنوبهم هو اعتناق الإسلام (الآية الـ ٦٥).

ينقل ابن عباس أن الآية تلك نسخت بوساطة ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

(١) النور: ٣٩.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) إبراهيم: ٨.

(٤) الميزان تفسير آية ٦٢ من سورة البقرة.



فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿١﴾ من الأرجح أن لا يكون النسخ هو النسخ الاصطلاحي كما استنتج بعض المفسرين، بل القصد هو التفسير القائل بأن لهذه الآية هيمنة على الآية الأخرى وآيات غيرها لا مجال للإشارة إليها.

نتساءل: هل يمكن تفسير الآية بأنها تدل على التعددية، ونحن نمتلك التفاسير المعتمدة والموافقة لظاهر الآية، ثم رفض التفاسير والوقوع في شرك عدم الملاءمة مع الآيات الأخرى.

تفسير الآية ١١٢ من سورة البقرة

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أوضحنا الضعف الذي يعترى استدلال أنصار التعددية بالآية المذكورة، ونكتفي هنا بالتطرق، بصورة موجزة، إلى بعض النقاط.

أ) إزالة الوهم حول كون العناوين معياراً

نظراً إلى الآية السابقة^(١) حيث ذهب اليهود والنصارى إلى أنهم هم فقط الذين يدخلون الجنة، ودليلهم هو خطاب الآية الموجهة لليهود والنصارى، فهذه الآية تأتي لتجيب عن إشكاليتهم تلك، فتري بأن المعيار العام للحصول على الثواب الإلهي هو الإسلام الحقيقي والعمل الصالح «وهو محسن» وهذا هو تفسير العلامة الطباطبائي للآية^(٢).

ب) تفسير الإسلام

تري هذه الآية أن طريق الفلاح يمر عبر التسليم لله ﴿من أسلم وجهه لله﴾ كما أشرنا في الصفحات السابقة إلى أن للتسليم والاسلام وجوهاً

(١) ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾.

(٢) الميزان ج ١ ص ٢٥٨.

تتجلى في كل عصر وزمان بصورة خاصة، وتتمظهر في عصر الإسلام
بالانصياع والتسليم للإسلام.

ج) أخذ الآيات السابقة بعين الاعتبار

إن الآيات السابقة ترشدنا إلى المعنى والمفهوم للآية حيث تشدد على
كفر أهل الكتاب ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا
وَأَتَقَوْا لَمَثُوبَةَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَيْرٌ﴾ و﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ﴾ وهناك العشرات بل المئات من الآيات الأخرى تفسر الآية بأفضل
صورة.

تفسير الآية ال ٦٤ من سورة آل عمران

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوِيَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
شُرَكَ لَهُ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
نشير إلى عدة نقاط في تفسير الآية:

أ) الدعوة إلى الحد الأدنى

هناك الكثير من الأدلة تدعو أهل الكتاب إلى المبدأ المشترك أي
التوحيد، وأحد هذه الأدلة هو الاهتمام بشأن نزول الآية.
رُوي في أسباب نزول الآية أنّ نصارى نجران كانوا يرفضون اعتناق
الإسلام لعدة أسباب، وكانوا يجادلون نبي الإسلام في هذا الموضوع
والموضوعات الأخرى منها شخصية النبي عيسى، والنتيجة أنهم يزدادون
عناداً.

يدعو الله في الآية السابقة، النصارى إلى المباهلة، قَبْلَ النصارى
بالمباهلة بداية الأمر لكن رفضوها في ما بعد عندما شاهدوا الأدلة التي



تنص على أحقية الإسلام وهزيمتهم في المباهلة، فقبلوا في نهاية المطاف بدفع الجزية والرضوخ للحكومة الاسلامية.

إن الآية نزلت بعدما رفضوا المباهلة وقبلوا بدفع الجزية.

كما أنها تؤكد على أن يا أهل الكتاب، يا من رفضتم الحق الأصيل والكمال وهو التوحيد ونبوة النبي محمد ﷺ التزموا بالمبدأ الأول وهو التوحيد ولا تنحرفوا عن الطريق الصواب. وتدل على أن الدعوة إلى التوحيد كحد أدنى لها دلالة واضحة ولا يمكن الطعن بها كما اعترف أنصار التعددية بهذا الموضوع، إنها في رأي المسلمين دعوة إلى الحد الأدنى^(١).

ب) الأخذ بعين الاعتبار الآيات السابقة واللاحقة

تؤيد التفسير الذي ذكرناه آيات أخرى من القرآن تشير هنا إلى الآيات السابقة عليها واللاحقة لها كي يتبين أنه ينبغي الاهتمام بالآيات السابقة واللاحقة عند التفسير.

في الآيات السابقة يؤنب الله ونبيه اليهود لرفضهم الدين الحق ويكفرهم^(٢) وفي الآيات اللاحقة يكفر الله أهل الكتاب، وينذرهم بالعذاب الإلهي لرفضهم الإسلام عن علم ووعي^(٣).

من الواضح أننا لو ذهبنا إلى أن دين أهل الكتاب هو محل التأييد بصورة كاملة، ففي عرض الإسلام ستفقد الآيات الأخرى معناها ومفهومها.

(١) خرمشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص ٥٥٣.

(٢) الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٣) الآيات: ٦١ - ٧٠ - ٧١.

ج) الخلط بين التعددية الدينية والاجتماعية

أجل إنّ الآية هي من الآيات المهمة التي تدعو المسلمين للحوار بغية حصول التفاهم مع أهل الكتاب كما تدعو الآيات الأخرى إلى معاملتهم بالإحسان^(١) إذا لم يحاولوا الاطاحة بالحكومة الدينية، ويشنوا الحرب (التعددية الاجتماعية).

فنقول لمن يعتقد أن حصول التفاهم والتعايش السلمي يحصل في ظل الاشتراك في مبدأ التوحيد وبأخذ الطابع الديني والإلهي وأنّ الآية تعترف بأحقية الأديان الأخرى في موازاة الإسلام، نقول إنّ الآية لا تدل على هذا الموضوع بل ونظراً إلى أسباب النزول والآيات السابقة واللاحقة فإنها تدل على خلاف ذلك أي حصر الصراط المستقيم بالإسلام فيحدث الالتباس بين التعددية الاجتماعية والدينية.

تفسير الآية ال ١٣ من سورة الحجرات

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

يتضح من خلال الموضوعات السابقة، الضعف وعدم ارتباط ما يستند إليه دعاء التعددية بالآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ سنشير إلى نقطتين:

أ) ذكر قاعدة اخلاقية

إنّ الآية تدل على قاعدة أخلاقية وإنسانية للمسلمين، وهناك اتفاق في أسباب نزول الآية حيث كان يتفاخر بعض المسلمين بما يمتلكه من الثروة أو لون البشرة أو إنهم أحرار، فهى النبي عن التفاخر بمثل هذه الأشياء،

إنّ هذا التفاخر عمل ينافي الانسانية فنزلت الآية للتأكيد على كلام النبي. فمن الواضح أنّ الآية لا ترتبط بموضوع الأديان وتأييد أحقيتها.

أما الدليل على عمومية الآية فهي عبارة «يا أيّها الناس» لأنّه مبدأ عام يتحدث عن المساواة بين البشر في الخلقة ويمنع التفاخر فضلا عن هذا إنّ خطاب الآية يا أيّها الناس يتضح أكثر نظراً إلى عبارة «من ذكر وأنثى».

ب) تفسير التقوى

تذكر الآية أنّ معيار الأفضلية هو التقوى حيث لها مكانة أعلى من الإسلام والإيمان. وقد قلنا إنّ حقيقة الإسلام والإيمان هي التسليم أمام الله والنبي محمد ﷺ، أما التقوى فهي أعلى مكانة منه كما يذكر القرآن في بداية سورة البقرة: إنّ أحد أوصاف المتقين هو الإيمان بالنبي والقرآن.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾^(١)

تفسير الآية ال ١٧٧ من سورة البقرة

﴿يَسَّ إِلْرََّ أَنْ تُؤْلُواْ وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلْرََّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾

لا يمكن أن تؤيد هذه الآية ادعاء التعددية لأسباب عدّة، أولها أنّ الآية تتحدث عن الخلاف الدائر بين أهل الكتاب والمسلمين حول قبلة المسلمين، عندما انتقد وشكك أهل الكتاب في اتخاذ المسلمين القبلة الأولى أي بيت المقدس فنزلت الآية للردّ على هذا النقد وتعبر عن موضوعين.

الأول: القبلة تُطرح هنا كرمز فلا دخل لها بحقيقة العبادة والبر.

الثاني: إن الآية تعتبر الإيمان بكافة الأنبياء معياراً للبر حيث لا يحمل أهل الكتاب هذا المعيار، وهو ما يخرجها عن دائرة التعددية الدينية.

الدليل الخامس: امتداح أهل الكتاب ووعدهم بالشواب وحجب العذاب

من المستندات القرآنية الأخرى التي يتمسك بها دعاة التعددية، آيات تمدح أهل الكتاب في الظاهر وفي بعض الأحيان تصفهم بالمؤمنين وأهل العبادة وأصحاب الجنة وأنهم لا يدخلون النار.

وفقاً للآيات السابقة فإن التوحيد والعمل الصالح هما المعياران للهداية، وبما أن أهل الكتاب كانوا يؤمنون بالتوحيد ويعملون العمل الصالح فأصبحوا من مصاديق الآيات بصورة غير مباشرة، كما تذكر بعض الآيات أهل الكتاب بالاسم. لكن هناك آيات أخرى تصرح بأن أهل الكتاب مؤمنون وهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار. نستنتج من مجمل هذه الآيات أن شريعتهم لها أحقية ولو لم يصح هذا القول لكانت تنفي هذه الصفات.

أ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ سُبُوحًا عَلَيْهِمْ يُسَجَّدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)

ب: ﴿وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعَةً لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢)

ج: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾^(٣)

(١) آل عمران: ١١٣ - ١١٤.

(٢) آل عمران: ١٩٩.

(٣) المائدة: ٦٩.



﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ لَآتِيَنَّكُمْ قَيْسِيَّةٌ وَرُهَبَانَا وَأَنْتُمْ لَا تَسْكُرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾^(١)

يكتب بهاء الدين خرمشاهي مشيراً إلى الآيتين الأولىين: أن القرآن يعترف بالديانتين بما أنهما من الأديان التوحيدية والإلهية والابراهيمية كما كانت في بداية أمرها^(٢).

ثم يشير إلى الآيات ٦٢ و٨٢ و٨٣ من سورة المائدة فيكتب: لو فرضنا أن القرآن نسخ المسيحية وقضى عليها فهل يمكن أن يذكر مثل هذه الآيات، تلاحظون أن هناك فرقة ناجية يشكلها القساوسة والرهبان النصراني كما يصرح القرآن^(٣).

إن القرآن يطلق على بعضها الأمة المقتصدة والأمة القائمة^(٤).

يشير الدكتور محمود بينا إلى الآيتين ال ٨٢ وال ٨٣ من سورة المائدة ويقول: عندما نزل القرآن على النبي كان هناك قساوسة يتلون القرآن ويكونون ويقولون ربنا اكتبنا مع الشاهدين. يقول الله سنجزئ عملهم. هذا يعني أن الله قبل عملهم، لذلك فإن قضية الإسلام غير مطروحة هنا. يمثل هذا لنا درساً، درساً في كيفية تعامل القرآن مع الأديان الأخرى. لو قرأ المسلم كتاب «بهگوت كيتا» وقال ربي هذا أيضاً نازل منك، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ فلم يكن هناك ضرورة لتترك الإسلام^(٥).

(١) المائدة: ٨٢ - ٨٤.

(٢) خرمشاهي، بهاء الدين: المصدر السابق نفسه.

(٣) بينات عدد ١٧، ص ١٧٤ - ١٧٥، وخرمشاهي نفس المصدر، ص ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٤) خرمشاهي، بهاء الدين: نفس المصدر، ص ٥٤٥. كما يستند إلى الآية ال ١١٣ من سورة آل عمران.

(٥) هفت اسمان، عدد ١ ص ٢٣ و٢٧.

تحليل وتقييم

إن الآيات الآتفة الذكر هي من الأدلة الضعيفة التي يستند إليها أنصار التعددية. والمشكلة الرئيسية هي عدم التركيز على فحوى الآيات المذكورة آنفاً وكذلك الآيات التي تسبقها وتليها والتي تتناول الملاحظات التالية تبين ضعف استدلالهم.

أ) المؤمنون من أهل الكتاب هم الذين انتظروا ظهور الإسلام واعتقوه

تؤكد الآيات القرآنية أنّ التوراة والإنجيل كانا قد بشرّا أهل الكتاب بظهور الإسلام، وهم كانوا على معرفة كاملة بمواصفات النبي عند ظهوره في مكة، وقد وجد أهل الكتاب، وبالذات علماءهم، العلامات الدينية التي كانوا قد بشرّوا بها حول ظهور النبي بأنها تصدق على نبي الإسلام أو كما يعبر عنها القرآن يعرفونه معرفة آبائهم، ومع هذا أخذ أغلبية أهل الكتاب ولا سيّما اليهود منهم أسلوب المعارضة والعناد بدلاً من الإيمان بالنبي، ووصل الأمر إلى درجة محاربة النبي، فوصفهم القرآن في عدة آيات بهذه التعابير: «أكثرهم فاسقون» و«أكثرهم ظالمون» و«أكثرهم كافرون» بيد أنّ هناك أشخاصاً ذوي فطرة سليمة في صفوفهم، بعدما سمعوا الآيات القرآنية وشاهدوا معجزة الإسلام ووجدوا علائم النبي الموعود تنطبق على نبي الإسلام، آمنوا به وأصبحوا من المؤمنين المخلصين حيث أضحوا من المتهجدين والراكعين والساجدين.

هناك روايات تؤيد مدّعانا هذا^(١) كما تؤيده الروايات التي تحدثت عن أسباب النزول وذكرها مفسري صدر الإسلام مثل ابن عباس^(٢).

(١) يصف الإمام الصادق المؤمن الحقيقيين من أهل الكتاب بأنهم المنتظرون مجيء محمد ﷺ. راجع: الميزان، ج ٦ ص ٨٥.
(٢) راجع: التفسير، ج ٣ ص ٥٦.



يتفق المفسرون عند الحديث عن أسباب نزول تلك الآيات على أن الآيات تتحدث عن اعتناق بعض أهل الكتاب الإسلام مثل عبدالله بن سلام أو النجاشي حاكم الحبشة ومبعوثيه. حيث اتهموا بالكفر لكن القرآن يؤيد إيمانهم ويبشرهم بالجنة ويصفهم بالأمة المقتصدة والأمة القائمة ومنهم المؤمنون.

فضلا عن أسباب النزول التي قد تثير الشبهة لدى أنصار التعددية، تثبت نفس الآية والآيات الأخرى التي تسبقها وتليها القول المذكور آنفاً وسنشير إليها لاحقاً.

تسبق الآية الأولى (آل عمران ١١٣ و ١١٥) آيتان تصف دين الإسلام بأنه أفضل دين أنزل لأفضل أمة ويضيف لو آمنوا لكان خيراً لهم لكن قليلاً منهم من آمن ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . . وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

تؤكد الآية الثانية (آل عمران ١٩٩) أن من يؤمن من أهل الكتاب فإنه يؤمن بالله والقرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

أما الآية الثالثة (المائدة ٦٩) التي ورد فيها كلمتان «أقاموا ولاكلوا» فتخبر عن الماضي، فلو فعلوا هذا لحدث هذا، ثم لو اشتملت على عصر الإسلام ينبغي القول إن وجود التوراة والإنجيل يعني فقط حفظ الأصول وإقامة الأحكام والتعاليم الكاملة وغير المنسوخة ولا يعني الاحتفاظ بالبعث وتترك الآخر. إن ظهور الإسلام وأخذ ميثاق النبيين هما من الأصول والأركان الهامة في الشرائع السابقة، ووفقاً للقرآن فإن العمل بالتوراة والإنجيل بدون الاهتمام به ليس إلا الطعن بهما^(١).

أضف إلى هذا أن الآيات التي تسبق هذا التفسير ترى أنهم كفروا

(١) راجع: الميزان، ج ٦، ص ٣٧ و ٣٨؛ الكشف، ج ١، ص ٦٥٨.

وطغوا بعد نزول القرآن، وتؤكد أن الشرط لغفران ذنوبهم ودخولهم الجنة هو إيمانهم بالاسلام.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

أما الآية الرابعة (المائدة ٨٢ - ٨٣) والتي غض أنصار التعددية النظر عن الآيات التي سبقتها والتي تلتها عن عمد فهي زاخرة بالأدلة والشواهد التي تؤيد ادعاءنا ونشير إليها هنا.

إن الآية تتحدث عن المقارنة بين عداوة اليهود والنصارى للإسلام؛ بداية الآية تعتبر اليهود والمشركين كأشد الأعداء للمسلمين ثم تعتبر أن النصارى هم أقرب إلى المسلمين حباً ومودة وتبحث عن الأسباب فترى أن الفارق هو أن اليهود يتميزون بالتكبر، أما علماء النصارى وزعمائهم الروحيون فيتسمون بالخشوع والتواضع، وهذا ما يفسر ترحيب النصارى في صدر الإسلام مقارنة باليهود والمشركين^(١).

أما النقطة اللافتة للنظر فهي الآية التي تليها، إنها تصف علماء النصارى بالمتواضعين وهذا ما يهيئ الأرضية الملائمة لاعتناقهم الإسلام وتقول: عندما سمع القساوسة كلام الله الذي أنزل على النبي فاضت عيونهم دمعاً لأنهم وجدوا علامات النبي الموعود تنطبق على النبي محمد وأنهم كانوا منذ قرون ينتظرون ظهوره.

كما تضيف الآية بأنهم لا يكتفون حقيقة النبي الموعود ويقولون: ربنا آمنا ويطلبون الله «فاكتبنا من الشاهدين» هذه الآيات غاية في الصراحة ثم لم يكتف القساوسة بهذه العبارة بل يقولون متعجبين ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾.

إن الله يؤيد إيمانهم ويعتبر الكافرين والمكذابين هم أصحاب الجحيم،

(١) الميزان، ج ٦، ص ٨٠ - ٨٢.



إنّ التحدث أكثر حول حصر الصراط المستقيم بالاسلام وعدم استنباط القراءة التعددية يعني ايضاح ما هو واضح.

ب) الاخبار عن الماضي

أما التفسير الثاني الذي يوضح حقيقة المؤمنين من أهل الكتاب ولا يعتبر دليلاً على التعددية فهو التأكيد على هذه النقطة وهي أنّ جُلَّ العقائد الدينية والاعتقاد بالخالق عند أهل الكتاب بعد النبي موسى وعيسى، تعرضت للتحريف.

وذهبوا إلى أن عزير وعيسى إبن الله كما خرجوا عن الاعتدال في مجال العمل والتقوى واتخذوا طريق الفسق والفجور إلا قليلاً منهم حيث لم يصبهم التحريف وعملوا عملاً صالحاً لهذا يخاطبهم القرآن بالكافر والفاسق والظالم، ولكن عند مخاطبته للمؤمنين يستخدم مصطلحات «منهم أو قليل».

كما أنّ هنالك عدة روايات في هذا الشأن، حيث يقول الإمام علي عليه السلام مستنداً إلى ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ إنّ أهل الكتاب انقسموا إلى ٧٢ فرقة والأمة المقتصدة هي الفرقة الناجية^(١).

يقول سفيان الثوري، وهو من المفسرين القدماء، إنّ أهل الكتاب هم المؤمنون الحقيقيون بموسى وعيسى في مشارق الأرض ومغاربها^(٢).

بناءً على ما تقدّم فإن الآيات الآنف الذكر تدل على كفر وإيمان أهل الكتاب في تاريخ الأديان. أمّا عن إيمان وكفر أهل الكتاب مع ظهور الاسلام فهذا تفسره الآيات الأخرى والآيات اللاحقة.

(١) الميزان، ج ٦، ص ٨٥.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير ج ٨، ص ١٨٧.

ج) أهل الكتاب والمسلمون

أما التفسير الثالث الذي ينقله الفخر الرازي^(١) فمفاده أنّ القصد من أهل الكتاب ليس اتباع النبي عيسى وموسى بل هو مصطلح عام يشمل المسلمين. تهدف الآية إلى إيضاح هذه النقطة وهي أهل الكتاب (المسلمين وغيرهم) ليسوا متساوين في مسير الهداية بل إنهم اجتازوا الدرجات العالية للهداية. أما البحث حول هذه القضية فلا يدخل ضمن نطاق موضوع هذا الكتاب.

د) أهل الكتاب الصالحون وغير المعاندين

سبق أن قلنا إن أقلية من أهل الكتاب هم المؤمنون الحقيقيون، حفظوا إيمانهم الخالص طوال تاريخ اليهودية والمسيحية، ويقوا راسخين على شريعتهم؛ ليس هناك أدنى شك في إيمانهم قبل ظهور الإسلام وتصدق الحالة على من آمنوا بالإسلام بعد ظهوره.

السؤال الذي يطرح نفسه يدور حول إيمان أقلية من أهل الكتاب ممن كانوا قبل ظهور الإسلام من المؤمنين الحقيقيين (عقيدة وعملاً) لكنهم بقوا على دينهم لأسباب ما منها أنهم لم تصلهم رسالة الإسلام أو لم يعرفوا أحقية الإسلام لأسباب عدة ولم يعتنقوه لكنهم في نفس الوقت لم يغاندوه. بيد أن القرآن يقبل إيمانهم ويعتبرهم من الصالحين حيث يجزون في الآخرة خيراً وثواباً.

كما تشير الروايات إلى وجود بعض هؤلاء الأشخاص في صدر الإسلام ممن لم يكونوا من المعاندين^(٢) ويبدو أنهم موجودون في كل

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(٢) عن الباقر عليه السلام: كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتراطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهى كبارهم عن ذلك. الميزان ج ١ ص ٢١٦.



العصور والقرون. أشرنا في الفصل السابق إلى دليل هذه النظرية أي كون أهل الكتاب على عقائد صحيحة وقيامهم بأعمال صالحة.

نكتفي هنا بالإشارة إلى أنهم فرضاً لم يتلقوا الأدلة لاتمام الحجّة، ولم تبلغ لهم الرسالة، أو لم يدركوا الإسلام لكي يُعرضوا عنه فيصبحوا كافرين، بل إنهم كانوا صالحين طبقاً لشريعتهم وأصحاب عقيدة، ولذلك فإنّ أقصى ما يمكن اعتبارهم أنّهم مستضعفون و«مرجوعون عند الله».

يقول الشهيد مطهري حول مصطلح المؤمنين من أهل الكتاب: لو نظرتم إلى المسيحية المحرفة وذهبتم إلى القرى والمدن هل ستجدون جميع القساوسة فاسدين وأثمين، أقسم بالله أن ما يقارب ٧٠ أو ٨٠ بالمئة منهم لديهم إيمان صحيح وإخلاص باسم المسيح ومريم، وتعاملوا مع الناس بمشاعر الصدق والتقوى، ليس الذنب ذنبهم، إنهم يدخلون الجنة والقساوسة أيضاً يدخلون الجنة^(١).

بعدها يتحدث بإسهاب عن الإيمان والكفر في كتابه القيم «العدل الإلهي»^(٢) يرى أن المسلمين وأهل الكتاب متساوون في تسميتهم بالإيمان والتقرب إلى الله والاخلاص في النية واستحقاقهم الثواب والجنة^(٣).

هناك نقطة غابت عن أنظار دعاة التعددية وهي امتزاج الإيمان والاخلاص الفردي لأهل الكتاب واعتبار شريعتهم بأنها على حق. لقد قيل مراراً وتكراراً إنّ الصراط المستقيم والدين الإلهي الحق في عصرنا هو الدين الاسلامي المقدس. هذا القول لا يعني أنّ أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين وأصحاب عقائد وعمل صالح أبداً، بل إنّ النسخ يؤيد هذه النقطة. إنّ الشرائع السابقة هي منسوخة وعلى أتباعها أن يؤمنوا بالاسلام، أمّا في

(١) مطهري، الاستاذ الشهيد مرتضى: مجموعة أعمال ج ٣، ص ٤٣٩ و ٤٢٧.

(٢) مطهري، الاستاذ الشهيد مرتضى: عدل الهي، الفصل الأخير.

(٣) المصدر نفسه؛ ص ٣٤٦ وقاموس القرآن ج ٤ لفظه المستضعف، ج ٥ لفظه العمل.

حالة جهلهم بمعنى الجاهل القاصر وليس المقصّر، فلا تبطل أعمالهم الحسنة بل لهم أجر عند ربهم.

يبدو ان الهاجس الذي ذكرنا والخلط بينهما هو احد الأسباب الرئيسية للالتفات حول التعددية وتفسير الآيات وفق التعددية، فلو قمنا بتفكيك هاتين المسألتين ستحل مشاكلنا^(١).

الدليل السادس: كثرة الشهود في القيامة

من الأدلة القرآنية الأخرى التي يتمسك بها أنصار التعددية هي الاستناد إلى آيات تتحدث عن كثرة الشهداء في القيامة بين كل أمة، فإن وجود شاهد وهو إنسان صالح بين كافة الأمم دليل على أحقية مذهب وطريق تلك الأمم. إليكم بعض الآيات:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢)
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾^(٣)

﴿وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)
﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾^(٥)

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّتَيْنِ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦)

تدل الآيتان الأوليان على وجود شاهد في كل أمة والآيتان الثالثة

(١) سروش، دكتور عبدالكريم: صراطهاي مستقيم، ص ٥١، خرمشاهي، بهاء الدين: بينات، عدد ١٧، ص ١٧٦.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) الجاثية: ٢٨.

(٥) الاسراء: ٧١.

(٦) الزمر: ٦٩.



والرابعة تتحدثان عن وجود كتاب وإمام بين الأمة والآية الأخيرة تؤيد كثرة الشهود في القيامة والقضاء العادل.

يكتب أحد الكتاب في البحث حول دلالة الآيات: نستنتج تأييد الأديان الأخرى بصورة ضمنية والقبول بكثرة الأديان من هذه الحقيقة، وهي أن القرآن يستخدم عدة مرات في وصفهم هذه العبارة بأن في يوم القيامة سيكون لكل أمة نبي وشهيد يحضرون في المحشر كما ان الرسول يكون شاهداً على أمة الإسلام. ونستنتج من هذه الآية أن الإيمان والكفر لهما ملل ونحل، ولم تتحول الأديان كافة إلى دين عالمي واحد (الإسلام)^(١).

نقد ورأي

نكتفي بنقطتين في نقدنا لهذا الرأي:

أ) الشهادة لرسالة الأنبياء

لابد من أخذ السؤال التالي بعين الاعتبار عند تحليلنا الآيات السابقة: ما هي الشهادة؟ لماذا يحضر الله البعض للشهادة في يوم القيامة؟

الإجابة عن هذا السؤال لها دور هام في تفسير الآيات، سيتضح عند مراجعتنا للآيات والروايات الأخرى. إن الله يسأل الأنبياء عن إبلاغ رسالتهم بشكل أفضل وهل أبلغوا الرسالة السماوية إلى الناس وبدلوا كل ما بوسعهم في هذا السبيل أم لا؟

بعدما يجيب الأنبياء بالإيجاب، يأتي دور الناس ولا سيما الكفار ومن ارتكبوا الذنوب، فيوجه لهم السؤال وهو: لماذا كفروا على الرغم من وجود الأنبياء وإبلاغهم الرسالة الإلهية؟ كما نرى في الآية اللاحقة أن الخطاب موجه إلى الشريحتين أي الأنبياء والناس.

(١) خرمشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص ٥٤٨ - ٥٤٩.

﴿فَلَسْتَنَّاكَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَسْتَنَّاكَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١)

كما يشير الامام علي عليه السلام في رواية حول توجيه السؤال للأنبياء (٢).

هنا قد يتشبه الكفار لتسويغ كفرهم بشتى الذرائع، ولكي يبطل الله ذرائعهم يحضر الشهود كالملائكة والدين والكتاب والزمان والمكان وأعضاء الجسد. الانسان ليس وحيداً في القيامة بل يحضر معه شهداء.

﴿وَوَجَّهَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٣)

أما سبب وجود مختلف الشهود في القيامة فهو أن لا يترك لهم مجالاً لإنكار الكفر والخطأ، وبالتالي الاعتراف بإبلاغ الرسالة الإلهية. من هؤلاء الشهود الأنبياء والناس الصالحون كي يعترفوا بتبليغ الرسالة الإلهية، وأنه كان لدى الناس الحرية لاختيار الكفر أو الإيمان بهدف تأييد تعذيب الكفار (٤).

صحيح أن دعاء التعددية يتحدثون عن كثرة الشهداء في مختلف الأمم لكنهم يتجاهلون هدف الشهداء، ولا يعرفون أن شهادة الشهداء لتأييد رسالة الأنبياء هي وجه من القضية، أما الوجه الثاني فيدل على خطأ وعدم امثال الكفار لأمر الله. الشهادة هنا تعني الحديث عن أحقية أمة أرسل إليها الأنبياء، وهناك قلة ممن أطاعوهم بصورة كاملة وبلغوا الدرجات العالية، منها درجة الشهادة.

فالحديث هنا يتمحور حول تأييد أحقية أمة أطاعت الرسول والحجة في زمنها، ويتجلى هذا في العصور السابقة على الإسلام بإطاعة نبيهم، وبعد ظهور الإسلام بإطاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) الأعراف ٦.

(٢) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤.

(٣) ق ٢١.

(٤) الميزان ج ١ ص ٣٢٣ يذكر أن شهادة الشاهدين لا تنحصر بتبليغ الأنبياء بل تشمل أعمال الأنبياء ولا تعارض كثرتهم.



ب) تقييد عبارة (كل أمة)

جميع المفسرين - المتقدمون منهم والمتأخرون - متفقون على أن لفظة كل أمة تعني الأمة صاحبة الشريعة ودين الإسلام^(١). بعبارة ثانية إنَّ الله يتحدث من خلال الآيات السابقة عن وجود شهيد في الأمم التي أرسل إليها نبياً وشريعة آمن بها البعض وأعرض عنها البعض الآخر، لكن هل نسخت الشرائع السابقة أم لا؟ فهذه الآيات لا تتحدث عن هذه الأمور لأنَّ محور الحديث في الآيات هو التعبير عن تأنيب الكفار وذكر أوصاف القيامة، منها السؤال من النبي والناس وإحضار الشاهد.

قد تطرح شبهة هنا، وهي إذا كان القصد من ذكر الأمة هو الأمم التي سبقت الإسلام فهذه الآية تتحدث عن أحوال الأمم السابقة لكن خطاب الآية عام ومطلق يدل على تأييد أحقية كافة الأمم قبل الإسلام سواءً أرسل لهم رسول أم لا، وبالتالي إمكانية وجود أمة حقة دون وجود نبي سماوي قبل الإسلام يمكن أن يعمم الحالة على عصر الإسلام وبعده.

أجيب عن هذه الشبهة بالقول إنَّ الله أرسل لكل أمة نبياً وفقاً للكثير من الآيات فما من أمة لم يُرسل إليها نبي كما تصرح الآيات التالية:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾^(٢)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(٣)

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٤)

قد تكون الآيات الأنفة الذكر دليلاً يؤيد تفسير المفسرين لعبارة «كل أمة» لأنه عند اعتبار الآيات المذكورة أي اعتبار كل أمة لها نبي يتضح انه

(١) راجع: تفاسير مختلف، ذيل آيات موضوع بحث.

(٢) يونس: ٤٧.

(٣) النحل: ٣٦.

(٤) فاطر: ٢٤.

ليس بالإمكان أن نجد أمة بلا نبي، وبالتالي يتم اختيار الشاهد من بين أتباع الأنبياء الحقيقيين.

أخيراً، لو نغض النظر عن الشواهد والأدلة السابقة فيتبين من الآيات الأخيرة أنّ في هذه الأمم - سواء أرسل إليها رسول أم لا - أشخاصاً صالحين اتبعوا الرسول الذي أرسله الله واتبعوا رسولهم الباطني (العقل والفترة) عندما لم يشاهدوا النبي المرسل فإنهم يستحقون أن يدخلوا الجنة وهم شهداء على الآخرين ممن رفضوا اتباع النبي أو العقل أو الفترة.

تلك الآية تؤيد اتباع الناس الأنبياء بحكم العقل والفترة التي تؤدي إلى نزول الرحمة الإلهية والابتعاد عن العذاب، غير أنّ ابتعاد الرسالات الإلهية في إطار الشرائع لا تلحق بالمحرومين الضرر، وإنّ الآية لا تتحدث عن هذا، فيمكن البحث عن هذا الموضوع في الآيات الأخرى.

هذا الخلط في الموضوع المتمثل في أنّ كثرة الطرق المستقيمة تؤدي إلى النجاة، ويستحق بموجبه البعض نوال الشواب، يشبه خلط بعض المعارضين للتعديدية ممن يحاولون إثبات عدم أحقية دين ما من خلال فسق وفجور أتباعه^(١). على سبيل المثال يتمسكون بالآيات (أكثرهم فاسقون أو كافرون) في محاولة منهم لتبيين أنّ اليهودية والمسيحية ليستا على حق ولا يكثرثون بنقطة هامة مفادها أنّ أكثرهم لا تعني كلهم، وحتى لو ذكرت كلهم، فلا يمكن نسبة الفسق والكفر الذي يرتكبه أتباع الدين إلى الدين نفسه.

في الختام نشير إلى نقائص الاستناد إلى الآيات الثلاث الأخرى. إنّ الآية الثالثة (الإسراء الآية الـ ٧١) تدل فقط على حشر الأمم مع أئمتهم وأنّ مصطلح الإمام جاء في القرآن ليدل على أئمة الكفر والحق^(٢) ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾^(٣).

(١) فصلنامه كتاب نقد عدد ٤ مقالة، مقاله نگاهی درون دینی به پلورالیزم، ص ٢٥٤.

(٢) الميزان ج ٣ ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) التوبة ١٢.



الآية الرابعة (الجائية الآية الـ ٢٨) تدل كسابققتها، على دعوة كافة الأمم إلى الكتاب، ومن خلال الاهتمام بالشواهد منها «تجزون» يتبين أنّ الكتاب هو الدعوة إلى الحساب والعقاب^(١).

الآية الخامسة (الزمر الآية ٦٩) تدل على أنّ الكتاب هو الأعمال والحساب ثم لم يصرح فيه بأنّ لكل أمة كتاباً مستقلاً^(٢).

الدليل السابع: جزية أهل الكتاب

يستند بعض دعاة التعددية، لتأييد أحقية اليهودية والمسيحية، إلى قبولهم الجزية وعدم إجبارهم على اعتناق الإسلام، ويقولون بما أنّ القرآن ترك لأهل الكتاب الحرية في الحرب أو الجزية، فهذا يؤيد أحقية دينهم.

﴿قَدْ لَبِئْنَا لَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣)

هناك من كتب في شرحه لهذه الآية: أمّا الدليل الآخر على أنّ القرآن يعترف بأهل الكتاب فيتمثل في هذه الحقيقة القرآنية والتاريخية بأنّ بإمكانهم البقاء على دينهم أو دفع الجزية^(٤).

ثمة من يعتقد أنّ تقديم الحكومة الاسلامية الدعم الأمني والاجتماعي والاقتصادي لأهل الكتاب هو دليل على تأييد أحقية تلك الأديان^(٥). اللافت للنظر أنّ معارضي الإسلام كابن الراوندي^(٦) ذهبوا إلى أنّ دفع الجزية هو دليل على كفر أهل الكتاب. فينتقدون القرآن من هذا المنظور. لكن اليوم حدث العكس وأنّ الجزية اصبحت دليل أحقية أهل الكتاب.

(١) مجمع البيان، ج ٥، ص ٨٠؛ الميزان، ج ١٨، ص ١٧٧.

(٢) مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٠٩.

(٣) التوبة: ٢٩.

(٤) خرشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص ٥٤٤.

(٥) نصر، دكتور سيد حسين: كيان عدد ٤٥، ص ٤٢.

(٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١٦، ص ٣٢.

تحليل ودراسة:

إنّ الاستناد إلى هذه الآية كدليل على التعددية ناتج من عدم التأمل في الآية لأنّ الآية نفسها تدل على نسخ الشرائع السابقة، نشير فيما يلي إلى عدة نقاط:

(أ) إعلان الحرب على أهل الكتاب

إنّ الآية الشريفة تدعو أهل الكتاب إلى القتال في البداية. فمن الواضح لو كانت اليهودية والمسيحية في موازاة الإسلام وأنها على حق وغير منسوختين فلا داعي لقتال أتباعهما.

(ب) تكذيب إيمان أهل الكتاب

إنّ الآية تصنف أهل الكتاب ضمن أولئك الذين لا يؤمنون بالله والمعاد والشريعة، كما يصرح المفسرون أنّ هذه الآية ترفض أصل وحقيقة إيمانهم بالله والمعاد^(١). كما يضيف مفسرون آخرون كالطباطبائي^(٢) أنه بما أنّ أهل الكتاب لا يؤمنون بكتابهم الحقيقي الذي يبشر بالنبي الموعود، أي محمد ﷺ ففي الحقيقة يصبح إيمانهم بالله والمعاد ناقصاً ولا يُقبل عند الله.

في ظل التفسيرين السابقين فإنّ أهل الكتاب يفقدون الإيمان الكامل والمقبول عند الله. لهذا لا يمكن جعلهم بموازاة الإسلام.

(ج) الخروج عن الدين الحق

تُخرج الآية أهل الكتاب من دائرة الدين الحق، وهذا السبب أي عدم

(١) مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٢) الميزان ج ٩ ص ٢٣٨.



إيمانهم بالدين الحق، كما يفسره جميع المفسرين بالاسلام، هو أحد أسباب إعلان الحرب عليهم.

(د) إن الجزية هدف لترك القتال

إن الآية الشريفة بعد إعلانها الحرب ووصف أهل الكتاب بالكفار تقوم برسم حدود الحرب وتحدد أهدافها، وهي أنه لو قبل أهل الكتاب بشروط الحكومة الاسلامية لم تكن هناك ضرورة للحرب ويصبح بإمكان المسلمين ترك العداة والجهاد.

إن دفع أهل الكتاب الجزية لا يعني تأييد دينهم، بل الهدف منه تركهم عداة الإسلام ومنحهم الفرصة، لاعتناق الإسلام من خلال تأمل خصائص نبي الإسلام^(١).

فالتساهل والتعايش مع أهل الكتاب ودفعهم الجزية لا يعني تأييد أحقية دينهم كما يدعي دعاة التعددية، بعبارة أخرى إن الآية تتحدث عن التساهل والمداراة والتعددية الاجتماعية وليس الدينية، والدليل هو مصطلح أهل الكتاب الذي أطلق عليهم وأنهم انحرفوا ورفضوا الدين كما أنهم يشتركون مع المسلمين في بعض التعاليم كما تدعو الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران، أهل الكتاب إلى الأصل المشترك بين الأديان، وهو التوحيد.

(هـ) التركيز على معنى صاغرون

ذهب بعض المفسرين إلى أن كلمة «صاغرون» تعني خشوع أهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين^(٢). كما فسرها البعض بأنها التسليم والانقياد تجاه الحكومة الاسلامية وقوانينها، أما القاسم المشترك في النظرتين فهو النفي والرفض لوضع الإسلام في موازاة الأديان الأخرى،

(١) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠؛ مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٢؛ روح المعاني، ج ٥، ص ٢٧١.

كما يؤيد هذا القول ظاهر الآية ولفظة صاغرون، والنتيجة لا تدل على التعددية، بل على العكس، تدل على الحصر.

الدليل الثامن: حليّة أكل الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم

من المستندات القرآنية الأخرى للتعددية الإشارة إلى حليّة تناول الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْحُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُجْزَى أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي آخِرَةِ بِن لُّظْمٍ﴾^(١)

إن وجه الاستدلال في هذه الآية، هو حلية تناول الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم دون أن يؤدي هذا إلى ترك الدين، وهو دليل على تأييد دينهم، فلو كانت الحالة غير هذه لعاملهم كعامله المشركين فيمنع أكل الطعام معهم والزواج منهم. وهناك دليل آخر على أن القرآن يعترف بأهل الكتاب فهو يصرح بمعاشرة أهل الكتاب والسماح بالزواج منهم وتناول الطعام معهم كما يجيز تناول طعامهم^(٢).

ويكتب أحدهم: يحاول البعض الإتيان بتفاسير خاصة، فحينما يقول القرآن أن بإمكان المسلمين أن يتزوجوا منهم بمعنى أن بإمكان المرأة أن تبقى على دينها وتتزوج المسلم^(٣).

(١) المائدة: ٥.

(٢) خرمشاهي، بهاء الدين: قران پژوهي، ص ٥٤٥.

(٣) بينا، دكتور محمود: هفت اسمان، عدد ١، ص ٢٥.

تحليل وتقييم

ضعف الدليل أعلاه قد تمّ تبيينه في موضوعات سابقة؛ لذا نلقي هنا نظرة سريعة عليها.

ربما يشير الدهشة أنه كيف يتجاهل أنصار التعددية الآيات الكثيرة والعديدة التي تؤيد دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومن ثم تكفيرهم ويستندون إلى آيات هي خارجة عن موضوع التعددية.

الآية أعلاه والآيات السابقة واللاحقة لها تنطبق إلى حليّة الأطفمة وحرمتها، وذلك لأن أهل الكتاب كانوا يعيشون كأقلية بين المسلمين، وبالتالي فإنهم يبنون علاقات اجتماعية واقتصادية وطيدة معهم، فلو حرمت المعاشرة وتناول الطعام معهم فسواجوهون مشاكل جمّة، فالقرآن ومن منطلق اللطف والامتنان على المسلمين يجيز تناول الطعام معهم والزواج منهم بصورة مؤقتة، لكن لا يشير إلى تأييد دينهم بأيّ شكل من الأشكال^(١).

ثم إنّ العبارات التي تلي «من يكفر بالإيمان...» تحذر المسلمين من أنّ الحكم هو حكم دنيوي واجتماعي على اساس التسامح والمداراة فقط، ولو تضرر إيمان المسلم بزواجه من أهل الكتاب أو أصبحت له نزعة للإيمان بدين أهل الكتاب، ستحبط أعماله السابقة ويصبح من الخاسرين، ومن الواضح أنّ نزعة أهل الكتاب تساوي الكفر والخسران في الآخرة فيعارض

(١) الميزان ج ٥ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وهناك تفاسير أخرى لم نتطرق إليها لأنّ الاجابة واضحة ونشير إليها هنا، أ) تقييد الطعام الحلال بالحبوبات وعدم اشمالها على المذبوحات وهو دليل على رد التعددية (الميزان ج ٥ ص ٢١٢ ب) نسخ آية الزواج في الآيات الأخرى آية ٢٢١ من سورة البقرة و ١٠ من سورة الممتحنة ج) السماح بالزواج المؤقت وليس الدائم؛ د) اختصاص الزواج بالرجال وانه محرم على النساء لأن زواج المرأة المسلمة باليهودي سيزيد من احتمال ان يصبح ابناؤه يهودا والإسلام لايرضى بهذا، ويقبل بزواج المسلم بنساء أهل الكتاب لأن هناك احتمال أن يصبح ابناؤه مسلمين.



هذا جوهر التعددية، بل هذه الآية دليل على انقضاء أحقية التوراة والإنجيل.



المصادر

- ١ - بازرگان؛ عبدالعلي: آزادي در قرآن.
- ٢ - مطهري؛ الاستاذ الشهيد مرتضى: آشنائي با قرآن، انتشارات صدرا، طهران.
- ٣ - مقداد؛ فاضل: إرشاد الطالبين، مكتبة آية الله نجفي، قم.
- ٤ - مغنية، الشيخ محمد جواد: إسرائيليات القرآن، دار الجواد، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ٥ - سميث، هوستون: اسلام از نظر گاه دانشمندان غرب، ترجمه علي اصغر حكمت.
- ٦ - حديدي، الدكتور جواد: اسلام از نظر ولتر، جامعة مشهد.
- ٧ - بواراز، مارسل: اسلام و حقوق طبيعي انسان، ترجمه محسن مويدي، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، طهران، ١٩٧٩.
- ٨ - مطهري، الأستاذ الشهيد مرتضى: اسلام ومقتضيات زمان، انتشارات صدرا، طهران.
- ٩ - الكليني، يعقوب، أصول الكافي، دفتر نشر فرهنگ أهل البيت، ترجمة و شرح السيد هاشم رسولي محلاتي، طهران، بدون تاريخ.
- ١٠ - الهندي، رحمة الله: إظهار الحق، المطبعة العلمية ١٣٥٠هـ.



- ١١ - البحراني، الشيخ يوسف: الحدائق الناصرة، دار الأضواء، بيروت.
- ١٢ - الملا صدرا: الحكمة المتعالية، مكتبة مصطفىوي، قم.
- ١٣ - الجوهرى، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١٤ - الشيخ الصدوق: الاعتقادات، أوائل المقالات للشيخ مفيد.
- ١٥ - ابن كثير: السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ.
- ١٦ - ابن عربي، مُحبي الدين: الفتوحات المكية، ٤ أجزاء، دارصادر، بيروت.
- ١٧ - الشيخ الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الأضواء، بيروت.
- ١٨ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ.
- ١٩ - مقداد، فاضل: اللوامع الإلهية، نشر شفق، تبريز، ١٣٩٦هـ.
- ٢٠ - ابن حزم: الفصل بين الأهواء والنحل والملل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٠هـ.
- ٢١ - العاملي، الشيخ الحر: الفصول المهمة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ.
- ٢٢ - الشيخ المفيد: الارشاد، ترجمه وشرح، السيد هاشم رسول محلاتي، انتشارات علمية اسلامية، شيراز.
- ٢٣ - الغزالي، محمد: المستعفي من الأصول، دار صادر، بيروت.
- ٢٤ - الأصفهاني، راغب: المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر كتاب، ١٤٠٤هـ.

٢٥ - الرازي، الحمصي: المنقذ من التقليد، مركز النشر الاسلامي، قم، ١٤١٢هـ.

٢٦ - فخر الإسلام، محمد صادق: أنيس الاعلام، مكتبة مرتضوي، طهران، ١٩٧٢.

٢٧ - البلاغي، الشيخ محمد جواد: الهدى إلى دين المصطفى، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ.

٢٨ - ابن نوبخت: الياقوت في علم الكلام، با تحقيق علي اكبر ضيائي، مكتبة آية الله مرعشي، قم، ١٤١٣هـ.

٢٩ - سبحاني، جعفر: الإيمان والكفر في الكتاب والسنة، جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم ١٤١٦هـ.

٣٠ - المجلسي، محمد تقي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ١١٠ أجزاء، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣١ - صادقي، محمد: بشارت عهدين، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٩٨٣.

٣٢ - بينات، مجله، العدد ١٦ - ١٧.

٣٣ - الطبري، أبو جعفر: تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

٣٤ - الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٥ - ديورانت، ويل: تاريخ تمدن، ترجمه نخبة من المؤلفين، انتشارات شركة سهامی، ط. الثانية، ج ٤، طهران ١٩٨٩.



٣٦ - جعفري، تقي: ترجمة ونشر نهج البلاغة، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ج٢، طهران، ١٩٧٨.

٣٧ - طهراني، السيد هاشم حسيني: تعليقة على تجريد الاعتقاد، طبعة تبريز.

٣٨ - الحكيم هيدجي: تعليقة على شرح المنظومة، انتشارات علمي، طهران، ١٩٨٤.

٣٩ - البيضاوي، أبوسعيد عبدالله: تفسير البيضاوي، دارالمكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٤٠ - الشيخ الطوسي: تفسير التبيان، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

٤١ - الطالقاني، السيد محمود: تفسير پرتوي از قرآن، شركت سهامی انتشار، ج١، ط. الثالثة، طهران.

٤٢ - فيض الإسلام، ملامحسن: تفسير الصافي، دو جلدی، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٣هـ.

٤٣ - القاسمي، جلال الدين: تفسير القاسمي، ج٤، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧٦هـ.

٤٤ - صدر المتألهين: تفسير القرآن الكريم، با تصحيح محمد خواجوي، انتشارات بيدار، قم.

٤٥ - ابن عربي، مُحبي الدين: تفسير القرآن الكريم، انتشارات بيدار، قم.

٤٦ - مغنية، الشيخ محمد جواد: تفسير الكاشف، دار العلم، بيروت، ١٩٧٦.

٤٧ - الرازي، امام فخرالدين: التفسير الكبير، دارالكتب العلمية، طهران.

٤٨ - الزمخشري، الشيخ محمد بن عمر: تفسير الكشاف، دارالكتاب
المغرب، بيروت.

٤٩ - المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، شركة مصطفى البابي
والمجلسي، مصر، ١٣٧٣هـ.

٥٠ - الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين: تفسير الميزان، انتشارات
اسلامي، قم.

٥١ - رشيد رضا، محمد: تفسير المنار، دارالمعرفة، بيروت.

٥٢ - الشيخ الطبرسي: تفسير جوامع الجامع، مقدمة وتصحيح الدكتور
گرجي، مركز مديريت حوزة علميه قم.

٥٣ - الألوسي، محمود: تفسير روح المعاني، داراحياء التراث العربي،
بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٤ - الشوكاني، الإمام: تفسير فتح القدير، مطبعة مصطفى البابي
الحلي، مصر، ١٣٤٩هـ.

٥٥ - سيد قطب: تفسير في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ١٣١٩هـ.

٥٦ - الشيخ الطبرسي: تفسير مجمع البيان، المكتبة العلمية الاسلامية،
طهران.

٥٧ - مكارم الشيرازي، ناصر: تفسير نمونه، دار الكتب العلمية، طهران.

٥٨ - العروسي الحويزي، ابن جمعه: تفسير نورالثقلين، مؤسسة مطبوعاتي
اسماعيليان، ٥ أجزاء، قم.



- ۵۹ - لوبون، گوستاف: تمدن اسلام وعرب، ترجمة السيد هاشم حسيني، المكتبة الإسلامية، طهران.
- ۶۰ - معرفة، محمد هادي: جامعه مدني، مؤسسة فرهنگي انتشاراتي التمهيد، قم، ۲۰۰۸.
- ۶۱ - قدردان قراملكي، محمد حسن: جهنم گرا؟، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم.
- ۶۲ - الصفار، حسن: چند گونگي و آزادي در اسلام، ترجمة حميد رضا آزير، نشر بقيق.
- ۶۳ - الشهيد الثاني: حقايق الايمان، قم ۱۴۰۹ هـ.
- ۶۴ - دين پژوهي، ويراسته ميرچاه الياده، ترجمه بهاء الدين خرمشاهي، پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي، طهران، ۱۹۹۶.
- ۶۵ - بازگان، المهندس مهدي: دين و تمدن، انتشارات بعثت، طهران، ۱۹۷۱.
- ۶۶ - بازگان، المهندس مهدي: دين ودولت، انتشارات بعثت، طهران، ۱۹۷۱.
- ۶۷ - دين و چشم اندازهاي نو، نخبة من المؤلفين، ترجمه غلام حسين توکلي، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم.
- ۶۸ - مصباح يزدي، محمد تقی: راهنما شناسي، مركز مديريت حوزه علمية قم.
- ۶۹ - اللاهيجي، عبدالرزاق: سرمایه ايمان.

٧٠ - الشعراني، ابوالحسن: سعادت البشر، كتابخانه صدوق، طهران، ١٩٨٤.

٧١ - ابن داود: سه ارجوزه، سازمان چاپ وانتشارات وزارت ارشاد، طهران.

٧٢ - المحقق الطوسي: شرح الاشارات، مكتبة آية الله نجفي مرعشي، قم، ١٤٠٣هـ.

٧٣ - السبزواري، الحاج الملا هادي: شرح المنظومة، طبع قديم، مكتبة مصطفوي، قم.

٧٤ - التفتازاني، سعدالدين: شرح المقاصد، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٩٩٢.

٧٥ - الشريف المرتضى: شرح جمل العلم والعمل.

٧٦ - اذري قمي، احمد: شرحي بر وصيت نامه امام خميني.

٧٧ - جوادي آملی، عبدالله: شريعت در آينه معرفت، مركز نشر فرهنگي رجاء.

٧٨ - سروش، الدكتور عبدالكريم: صراطهاي مستقيم، مؤسسة فرهنگي صراط، طهران، ١٩٩٨.

٧٩ - الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسن: ظهور شيعة، نشر شريعت، طهران.

٨٠ - مطهري، الاستاذ الشهيد مرتضى: العدل الإلهي، المنشورات الاسلامية، قم.



- ٨١ - سروش، الدكتور عبدالكريم: فربه تراز ايدئولوژي، مؤسسة فرهنگي صراط، چاپ سوم، طهران، ١٩٩٦.
- ٨٢ - هيڪ، جان: فلسفة دين، ترجمه بهرام راد، انتشارات بين المللي الهدى، طهران، ١٩٩٣.
- ٨٣ - الغزالي، محمد بن محمد: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تصحيح النعساني، مصر، ١٣٢٥هـ.
- ٨٤ - القرشي، علي اكبر: قاموس قرآن، دار الكتب العلمية، طهران.
- ٨٥ - خرماهي، بهاءالدين: قرآن پژوهي، مرك. نشر فرهنگي مشرق، طهران، ١٩٩٣.
- ٨٦ - بازرگان، المهندس مهدي: قرآن ومسيحيان، شركت سهام انتشار، طهران، ١٩٩٣.
- ٨٧ - البحراني، ابن ميثم: قواعد المرام، مكتبة آية الله النجفي المرعشي، قم.
- ٨٨ - فيض كاشاني، ملا محسن: كتاب الوافي في شرح أصول الكافي، مكتبة أميرالمؤمنين، اصفهان.
- ٨٩ - سبحاني، جعفر: كتاب الإيمان والكفر، مؤسسة الامام الصادق، قم، ١٤١٦هـ.
- ٩٠ - مطهري، الأستاذ الشهيد مطهري: كتاب جهاد، انتشارات اسلامي، قم، ١٣٦١.
- ٩١ - كتاب نقد، (فصلنامه)، العدد ٤.

٩٢ - قدردان ملكي، محمد حسن: كند وكاوي در سويه هاي بلوراليزم، دفتر
انديشه جوان، طهران.

٩٣ - مجلة كيان، العدد ٢٧ - ٢٨ - ٣٧.

٩٤ - ابن منظور: لسان العرب، نشر أدب الحوزه، قم ١٤٠٥هـ.

٩٥ - سبحاني جعفر: مباني حكومت اسلامي، انتشارات توحيد، قم.

٩٦ - جلال الدين البليخي الرومي (مولوي): مثنوي ومعنوي.

٩٧ - مطهري، الأستاذ الشهيد مطهري: مجموعة آثار، انتشارات صدرا،
طهران.

٩٨ - المجلسي، محمد تقی: مرآة العقول، دار انکتب الاسلامیة، طهران،
١٩٩١.

٩٩ - معرفة، محمد هادي: مصونیت قرآن از تحریف.

١٠٠ - سبحاني، جعفر: معاني النبوة في النبوة في القرآن الكريم.

١٠١ - معرفت (مجله)، العدد ٢٢، محمد لگنهاوزن، پلوراليسم.

١٠٢ - احمدي میانجي، احمدي: مکاتیب الرسول.

١٠٣ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، النجف
الأشرف، ١٣٧٦هـ.

١٠٤ - محمدي ري شهري، محمد: ميزان الحكمة، مكتب الاعلام
الاسلامي، قم ١٤٠٤هـ.

١٠٥ - نامه فرهنگ، العدد ٢٤، ١٩٩٦.

١٠٦ - المحقق الطوسي: نقد المحصل، جامعة طهران.

١٠٧ - نقد ونظر، (مجله).



١٠٨ - العاملي، الشيخ الحر: وسائل الشيعة، إحياء التراث العربي،
بيروت، ١٣٩١هـ.

١٠٩ - بينا، محمد تقي: همشهري (روزنامه)، گفتمان پلوراليزم ديني، العدد
٢١١٤، ٢١/٢/٧٩.